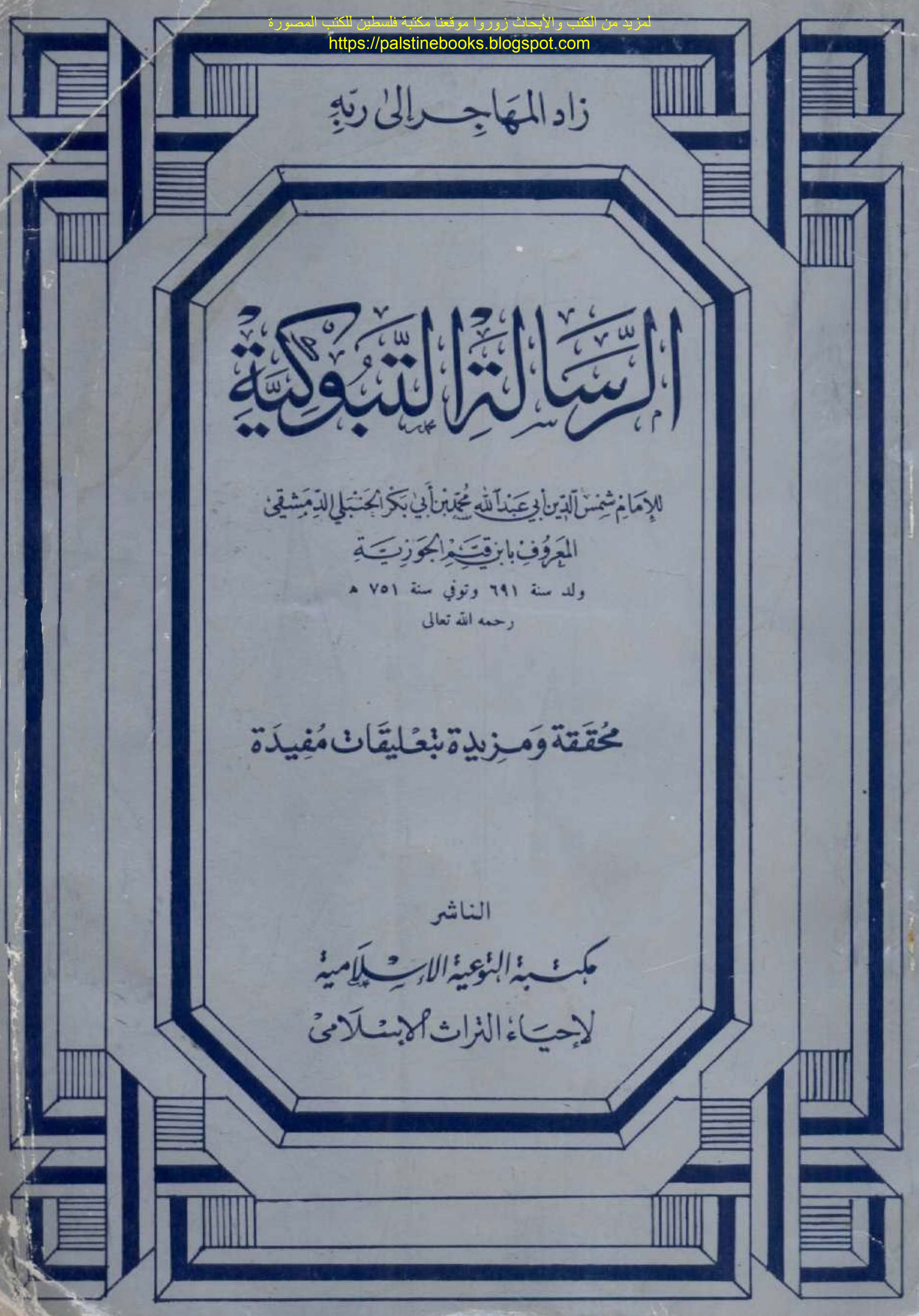


لمزيد من الكتب والأبحاث زوروا موقعنا مكتبة فلسطين للكتب المصورة
https://palstinebooks.blogspot.com
زاد المهاجر إلى ربه
الرسالة التبوكية
للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الحنبلي الدمشقي
المعروف بابن قيم الجوزية
ولد سنة ٦٩١ وتوفي سنة ٧٥١ هـ
رحمه الله تعالى
محققة ومزيدة بتعليقات مفيدة
الناشر
مكتبة التوعية الإسلامية
لإحياء التراث الإسلامي

زاد المهاجر إلى ربه




للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الحنبلي الدمشقي

المعروف بابن قيم الجوزية

ولد سنة ٦٩١ وتوفي سنة ٧٥١ هـ

رحمه الله تعالى

تحقيق

أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم

الناشر

مكتبة التوعية الإسلامية

لإحياء التراث الإسلامي

الطبعة الأولى بمكتبتنا
١٤٠٨ هـ


الناشر
مكتبة التوعية الإسلامية
لإحياء التراث الإسلامي

العنوان : ناصية شارع محمد عبد الهادي
الطالبية ـ الجوهرة
الجيزة

# مقدمة التحقيق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه . ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا . من يهديه الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

وبعد :

فإن السفر وسيلة إلى الخلاص من مهروب عنه أو الوصول إلى مطلوب ومرغوب فيه .

والسفر سفران :

ـــ سفر بظاهر البدن عن المستقر والوطن .

ـــ وسفر باطن بسير القلب عن أسفل السافلين إلى ملكوت السموات .

وهذا أشرف السفرين .

وهذا السفر عظيم وأمر جسيم !

ولما كان مُقْتَحِمُه فى خطب خطير لم يستغن فيه عن دليل يرشده .

فأى زاد يحمله ؟

وأى طريق يسلكه ؟

وأى مركب يستقله ؟

● **فأما زاده** : فالعلم الموروث عن خاتم النبيين ولا زاد له سواه ، فمن لم يحصل هذا الزاد فلا يخرج من بيته وليقعد مع الخالفين .

● **وأما طريقه** : فهو بذل الجهد واستفراغ الوسع وبذل النفس بأن تهون فى الله فتتقدم ولا تخاف الأهوال .

● **وأما مركبه** : فصدق اللجأ إلى الله والانقطاع إليه وتحقيق الافتقار

إليه بكل وجه ، والضراعة إليه وصدق التوكل والاستعانة به .

وأما صفة المهاجر إلى الله والمسافر إليه .

● فإن له فى كل وقت هجرتين :

ــ هجرة إلى الله بالطلب والمحبة والعبودية والتوكل والإنابة والتسليم والتفويض والخوف والرجاء والإقبال عليه وصدق اللجأ والافتقار فى كل نفس إليه .

ــ وهجرة إلى رسوله فى حركاته وسكناته الظاهرة والباطنة ، بحيث تكون موافقة لشرعه الذى هو تفصيل محاب الله ومرضاته ، ولا يقبل الله من أحد ديناً سواه ، وكل عمل سواه فعيش النفس وحظها لازاد المعاد .

● وهو يتنقل بين منازل العبودية منزلة منزلة فى حال سيره إلى الله عز وجل .

ــ فطنٌ يقظٌ انزعج قلبه فانتبه فشَمَّر لله بهمته إلى السفر إلى منازله الأولى وأوطانه التى سُبِىَ منها .

فحى على جَنَّات عَدنٍ فإنها    منازلك الأولى وفيها المخيم

ولكننا سَبْىُ العدو فهل ترى    نعود إلى أوطاننا ونُسَلَّم

ــ فإذا انتبه وأبصر أخذ فى القصد وصدق الإرادة وأجمع القصد والنية على سفر الهجرة إلى الله وعلم وتيقن أن لا بد له منه فأخذ فى أهبة السفر ، وتعبئة الزاد ليوم المعاد والتجرد عن عوائق السفر وقطع العلائق التى تمنعه من الخروج .

● فهذا الذى يرجى له أن يتولى الله هدايته وأن يكشف له ما خفى على غيره من طريق هذه الهجرة ومنازلها .

ذاك هو المهاجر الحق !

فهل لك يا عبد الله أن تهاجر ؟

فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ! .

## كلمة عن الرسالة وأهميتها

أَلَّفَ الإمام ابن القيم كتابه العظيم « زاد المعاد فى هدى خير العباد » ليكون زاداً لنا ليوم الميعاد يتحدث فيه عن هديه ﷺ فى شؤونه العامة والخاصة وطرف من سيرته وأطوار حياته وما يصاحبها من أحداث .

وأَلَّفَ كتابه الفذ « طريق الهجرتين وباب السعادتين » لبيان الهجرة إلى الله والهجرة إلى الرسول ﷺ وأفاض فيه وأجاد .

وهذه الرسالة التى بين يديك هى هدية ابن القيم إلى أصحابه ورفاقه فى طلب العلم وهى من كتاب سيره من تبوك فى ثامن المحرم سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة .

فهى بحق من أهم ما يحصل به التعاون على البر والتقوى وسفر الهجرة إلى الله ورسوله ﷺ .

فنعمت الهدية هى !

وجزاك الله خيراً يا شيخ الإسلام .

* * * *

## الطبعات السابقة للرسالة

طبعت الرسالة عدة طبعات بأسماء مختلفة .

١ ـــ باسم الرسالة التبوكية :

فطبعت بهذا الاسم لأول مرة سنة ١٣٤٧ هـ بالمطبعة السلفية بمكة المكرمة بتصحيح عبد الظاهر أبو السمح .

وتوالت طبعات المطبعة السلفية بمصر لها بهذا الاسم وكذا طبعة الأردن .

٢ ـــ باسم تحفة الأحباب فى تفسير قوله تعالى ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب** ﴾ .

فطبعت بهذا الاسم للمرة الثانية سنة ١٣٧٦ هـ بمطبعة المدنى بمصر .

واعيد طبعها بهذا الإسم ضمن مطبوعات دار الإفتاء بالسعودية .

٣ ـــ باسم « زاد المهاجر إلى ربه »

فطبعت بهذا الاسم بعد ذلك بمطبعة المدنى بتحقيق الشيخ محمد جميل غازى وهى كثيرة الأخطاء والتحريفات .

* * *

## منهج تحقيق الرسالة

حيث إن الرسالة لم تحظ بنصيب من التحقيق والتخريج رأيت أن أقوم بتحقيقها وتخريج أحاديثها والتعليق عليها كما يلى :

١ ــ تخريج الآيات القرآنية ووضع التخريج بجوار الآية .

٢ ــ تخريج الأحاديث الواردة بالرسالة وبيان درجتها مع ملاحظة أنه إذا كان الحديث فى الصحيحين أو أحدهما اكتفينا بتخريجه عندهما أو أحدهما حسب وجوده .

٣ ــ تخريج الآثار الواردة بالرسالة .

٤ ــ شَكْل الآيات والأحاديث والآثار والأشعار .

٥ ــ ترجمت لأشهر الأعلام بالرسالة .

٦ ــ وضع عناوين مناسبة لكل فقرة متناسقة .

٧ ــ علقنا على الرسالة بعدة تعليقات نافعة أكثرها من كلام الحافظ ابن القيم نفسه فى مواضع أخرى من كتبه .

٨ ــ قارنت بين الطبعات للرسالة وجعلت النسخة التى صححها الشيخ عبد الظاهر أبو السمح هى الأصل لدقتها وأصلحت ما فيها من أخطاء من الطبعات الأخرى .

## ● ابن قيم الجوزية فى سطور [1]

● **اسمه ونسبه** :هو الإمامُ المحقق الحافظُ الأصوليُّ الفقيه النَّحويُّ شيخ الإسلام شمس الدين أبو عبد الله ، محمد بن أبى بكر بن أيوب ابن سعد بن حريز الزَّرعي الدمشقى المشهور بـ : ابن قيم الجوزية ، نسبة إلى المدرسة التى أنشأها محيي الدين أبو المحاسن يوسف بن عبد الرحمن بن على بن الجوزى المتوفى سنة ٦٥٦ هـ لأن أباه كان قيِّماً عليها .

**ولادته ونشأته** :ولد فى بيت علم وفضل فى السابع من صفر سنة إحدى وتسعين وستمائة فى قرية زرع من قرى حوران تبعد عن دمشق خمسة وخمسين ميلاً جنوب شرقيها ونشأ على الزهد والتعبد وطلب العلم والتفانى فى طلبه حيث انبرى لطلبه فى سن مبكر على وجه التحديد فى السابعة من عمره [2] ، وقد كان مغرماً بجمع الكتب .

**شيوخه** :تحول ابن القيم إلى دمشق وتتلمذ لطائفة من علمائها فأخذ عن أبيه ، ولازم شيخ الإسلام ابن تيمية حتى تفقه به وكان من عيون أصحابه ، ومن شيوخه أيضاً الشهاب النابلسى ، والبدر بن جماعة وابن مفلح المقدسى الحنبلى وغيرهم .

---

(١) مصادر ترجمة المؤلف :

ـ ذيل طبقات الحنابلة (٢ / ٤٤٧ ، ٤٥٢) لابن رجب الحنبلى .

ـ البداية والنهاية (١٤ / ٢٣٤ ، ٢٣٥) لابن كثير .

ـ الدرر الكامنة (٤ / ٢١ ، ٢٣) لابن حجر العسقلاني .

ـ شذرات الذهب (٦ / ١٦٨ ، ١٧٠) لابن العماد الحنبلى .

ـ البدر الطالع (٢ / ١٤٣ : ١٤٦) للشوكانى .

ـ ابن القيم حياته وآثاره لبكر بن عبد الله أبو زيد .

(٢) راجع تحقيق هذه المسألة فى ابن القيم حياته وآثاره ص (٢٧) .

● **تلامذته** :تلقى عن الحافظ ابن القيم ـــ رحمه الله ـــ كثير من العلماء المشهود لهم بالفضل فى حياة شيخه وإلى أن مات وانتفعوا به فمنهم الحافظ ابن رجب الحنبلى المتوفى سنة (٧٩٥ هـ) و الحافظ ابن كثير المتوفى سنة (٧٧٤ هـ) والحافظ ابن عبد الهادى المتوفى سنة (٧٤٤ هـ) والحافظ الذهبى المتوفى سنة (٧٤٨ هـ) وغيرهم .

**أقوال العلماء فيه** :إن كل من ترجم للحافظ ابن القيم نراه يصفه بأوصاف تدل على علو مرتبته وعظيم فضله .

* قال الحافظ ابن رجب : « كان عارفاً بالتفسير لا يجارى فيه وبأصول الدين ، وإليه فيهما المنتهى ، وبالحديث ومعانيه وفقهه ، ودقائق الاستنباط منه لا يلحق فى ذلك ، وبالفقه وأصوله ، وبالعربية ، وله فيها اليد الطولى ، وبعلم الكلام ، وبكلام أهل التصوف وإشاراتهم ودقائقهم » .

* وقال الحافظ الذهبى : « عنى بالحديث ومتونه ورجاله ، وكان يشتغل بالفقه ويجيد تقريره وفى النحو ، ويدريه ، وفى الأصلين » .

* وقال ابن حجر : « كان جرىء الجنان واسع العلم عارفاً بالخلاف ومذاهب السلف » .

● **مؤلفاته وآثاره** : صنف ـــ رحمه الله ـــ تصانيف كثيرة فى الفقه والأصول والعقائد والحديث والسيرة والرقائق وفى العلوم المختلفة وعلى سبيل المثال :

ـــ ففى الفقه وأصوله :

إعلام الموقعين عن رب العالمين ، وتحفة المودود فى أحكام المولود ، والفروسية .

ـــ وفى العقائد : اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية ، وشفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل .

ـــ وفى الحديث : تهذيب سنن أبى داود وإيضاح علله ومشكلاته والمنار المنيف فى الصحيح والضعيف .

ـــ وفى السيرة : زاد المعاد فى هدى خير العباد .

ـــ وفى الرقائق : الداء والدواء ، ومدارج السالكين وعدة الصابرين وغير ذلك .

## ● وفاتـــــــــه :

توفى رحمه الله ـــ وقت عشاء الآخرة ليلة الخميس فى الثالث والعشرون من شهر رجب سنة ( ٧٥١ هـ ) وصلى عليه من الغد بجامع دمشق الكبير ثم بجامع الجارح قرب المقبرة التى دفن فيها بالباب الصغير وقبره معروف حتى الآن .

رحم الله ابن القيم ونفعنا بعلمه .

## بِسم الله الرّحمن الرَّحِيْم
## وبه نستعين وعليه نتوكل

قال الشيخ الإمام العالم العلامة محمد بن أبي بكر ، المعروف بابن قيم الجوزية رضي الله عنه وأرضاه ـــ فى كتابه الذى سيره من تبوك ثامن المحرم سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة ـــ بعد كلام له سبق :

أحمد الله بمحامده التى هو لها أهل ، والصلاة والسلام على خاتم رسله وأنبيائه : محمد ﷺ .

# مقدمة هامة ونافعة
# فى بيان حق الله وحق المخلوقين

وبعد :

فإن الله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه : ﴿ **وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ، وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلإِثْمِ وَٱلْعُدْوانِ ، وَٱتَّقُواْ ٱللهَ ، إِنَّ ٱللهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ** ﴾ [ المائدة : آية ٢ ] .

● وقد اشتملت هذه الآية على جميع مصالح العباد فى معاشهم ومعادهم ، فيما بينهم بعضهم بعضاً ، وفيما بينهم وبين ربهم ، فإن كل عبد لا ينفك عن هاتين الحالتين ، وهذين الواجبين : واجب بينه وبين الله ، وواجب بينه وبين الخالق .

**فأما ما بينه وبين الخلق** : من المعاشرة والمعاونة والصحبة ، فالواجب عليه فيها أن يكون اجتماعه بهم ، وصحبته لهم ، تعاوناً على مرضاة الله وطاعته[١] ، التى هى غاية سعادة العبد وفلاحه ولا سعادة له إلا بها ، وهي البر والتقوى ، اللذان هما جماع الدين كله ، وإذا أُفرد كل واحد من الاسمين دخل فى مسمى الآخر ، إما تضمناً ، وإما

---

(١) قال الحافظ ابن القيم فى كتابه الرائع « الفوائد » ص (٥٠ ، ٥١) : الاجتماع بالإخوان قسمان : أحدهما : اجتماع على مؤانسة الطبع وشغل الوقت ، فهذا مضرته أرجح من منفعته ، وأقل ما فيه أنه يفسد القلب ويضيع الوقت .

والثانى : الاجتماع بهم على التعاون على أسباب النجاة والتواصى بالحق والصبر ، فهذا من أعظم الغنيمة وأنفعها ولكن فيه ثلاث آفات :

أحدها : تزيين بعضهم لبعض .

الثانية : الكلام والخلطة أكثر من الحاجة .

الثالثة : أن يصير ذلك شهوة وعادة ينقطع بها عن المقصود ،، . أ هـ .

لزوماً ، ودخوله فيه تضمناً أظهر ؛ لأن البر جزء مسمى التقوى ، وكذلك التقوى ، فإنه جزء مسمى البر . وكون أحدهما لا يدخل فى الآخر عند الاقتران لا يدل على أنه لا يدخل فيه عند انفراد الآخر .

ونظير هذا : لفظ « الإيمان والإسلام » و « الإيمان والعمل الصالح » و « الفقير والمسكين » و « الفسوق والعصيان » و « المنكر والفاحشة » ونظائره كثيرة .

وهذه قاعدة جليلة [1] من أحاط بها زالت عنه إشكالات كثيرة ، أشكلت على طوائف كثيرة من الناس .

ولنذكر من هذا مثالاً واحداً يستدل به على غيره ، وهو البر والتقوى .

***حقيقة البر :***

فإن حقيقة البر : هو الكمال المطلوب من الشيء والمنافع التى فيه والخير ، كما يدل عليه اشتقاق هذه اللفظة وتصاريفها في الكلام .

ومنه « البُر » بالضم لمنافعه وخيره بالإضافة إلى سائر الحبوب .

ومنه رجل بار ، وبر ، وكرام بررة ، والأبرار .

**فالبر** : كلمة لجميع أنواع الخير والكمال **والمطلوب** من العبد . وفى مقابلته الإثم . وفى حديث النواس بن سمعان أن النبي ﷺ قال له : « **جِئْتَ تَسْأَلُ عَنِ البِرِ وَالإِثْمِ** » [2] .

---

(١) راجع تقرير هذه القاعدة وتوضيحها بأتم البيان عند الكلام على الإيمان والإسلام فى كتاب « الإيمان » لشيخ الإسلام ابن تيمية وكذا فى كتاب « تعظيم قدر الصلاة » للإمام محمد بن نصر المروزى « مخطوط » ويطبع حالياً بتحقيق أخينا الكريم عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي حفظه الله .

وراجع كلام الحافظ ابن القيم فى مدارج السالكين (١ / ٣٦٨ ، ٣٧١) فى الكلام على الاثم والعدوان ، والفحشاء والمنكر .

(٢) حديث النواس بن سمعان الذى يقصده الإمام ابن القيم أخرجه الإمام مسلم : كتاب البر والصلة =

**فالإثم** : كلمة جامعة للشرور والعيوب التى يذم العبد عليها .

فيدخل في مسمى البر : الإيمان وأجزاؤه الظاهرةوالباطنة ، ولا ريب أن التقوى جزء هذا المعنى . وأكثر ما يعبر عن بر القلب ، وهو وجود طعم الإيمان فيه وحلاوته ، وما يلزم ذلك من طمأنينته وسلامته ، وانشراحه وقوته ، وفرحه بالإيمان . فإن للإيمان فرحة وحلاوة ولذة فى القلب ، فمن لم يجدها فهو فاقد الإيمان أو ناقصه . وهو من القِسم الذي قال الله عز وجل فيهم : ﴿ **قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ آمَنَّا ، قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ ، وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا ، وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ** ﴾ [ الحجرات : آية ١٤ ] .

فهؤلاء ـــ على أصح القولين ـــ مسلمون غير منافقين وليسوا بمؤمنين إذ لم يدخل الإيمان في قلوبهم فيباشرها حقيقة .

---

= (٢٥٥٣) (١٥) : باب تفسير البر والإثم والترمذى : كتاب الزهد (٢٣٨٩) : باب ماجاء فى البر والإثم وقال حديث حسن صحيح . والدارمى : كتاب البيوع (٢ / ٢٤٥ ، ٢٤٦) : باب دع مايريبك إلى مالا يريبك وأحمد (٤ / ١٨٢) ووهم الحاكم فأخرجه فى المستدرك (٢ / ١٤) مع أن مسلم أخرجه كما رأيت . وأخرجه ابن حبان فى صحيحه (٣٨٩ــ الإحسان) والبخارى فى الأدب المفرد (٢٩٥) وابن أبى شيبة فى المصنف (٨/٥٢٠) والقضاعى فى مسند الشهاب (٥٣) والخرائطى فى مكارم الأخلاق ص (٧) بلفظ «سألت رسول الله ﷺ عن البر **والإثم** ؟» فقال : «البر حسن الخلق ...» الحديث وفى لفظ آخر لمسلم (٥٥٣) (١٥) «... فسألته عن البر والإثم؟» وفى لفظ للترمذى (٢٣٨٩) : « أن رجلا سأل رسول الله ﷺ عن البر والإثم ؟ ... الحديث » . أما اللفظ الذى ذكره ابن القيم « جئت تسأل عن البر والإثم » فهو فى حديث وابصة بن معبد أن رسول الله ﷺ قال : يا وابصه : جئت تسأل عن البر والإثم ؟ قلت نعم ... الحديث . بنحوه . أخرجه أحمد (٤ / ٢٢٨) والدارمى (٢ / ٢٤٥ ، ٢٤٦) . والطبرانى فى الكبير (٢٢ / ١٤٨ ، ١٤٩) وأبو يعلى (٩١ / ٢) وغيرهم وإسناده ضعيف كما أشار إلى ذلك الحافظ ابن رجب فى جامع العلوم والحكم ص (٣٠٤) والهيثمى فى المجمع (١ / ١٧٥) إلا أن الحديث له شواهد كثيرة تجعله يرتقى إلى درجة الحسن من حديث أبى ثعلبة ومن حديث النواس بن سمعان المتقدم ومن حديث أبى أمامة وغيرهم وراجع جامع العلوم والحكم ص (٣٠٤ ، ٣٠٥) ولذلك حسنه النووى فى الأربعين (الحديث السابع والعشرون) والمنذرى فى الترغيب . والألبانى فى صحيح الجامع (٩٩٥) . والأرناؤوط فى تخريج رياض الصالحين (ص ٢٨٩) .

● وقد جمع الله خصال البر فى قوله تعالى : ﴿ **لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ** ـ إلى قوله ـ **وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** ﴾ [1] [ البقرة آية ١٧٧ ] .

● فأخبر سبحانه أن البر هو الإيمان بالله وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وهذه هي أصول الإيمان الخمس التي لا قوام للايمان إلا بها .

وأنه الشرائع الظاهرة : من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والنفقات الواجبة .

وأنه الأعمال القلبية التي هي حقائقه ، من الصبر والوفاء بالعهد فتناولت هذه الخصال جميع أقسام الدين ، حقائقه وشرائعه والأعمال المتعلقة بالجوارح والقلب ، وأصول الإيمان الخمس . ثم أخبر سبحانه عن هذه أنها هي خصال التقوى بعينها فقال : ﴿ **أُو۟لَـٰٓئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** ﴾ . [ البقرة : آية ١٧٧ ] .

***حقيقة التقوى*** :

● وأما « **التقوى** » فحقيقتها العمل بطاعة الله إيماناً واحتساباً ، أمراً ونهياً ، فيفعل ما أمر الله به إيماناً بالأمر وتصديقاً بوعده ، ويترك

---

(١) أورد الإمام البخارى فى صحيحه هذه الآية الكريمة فى كتاب الايمان تحت باب أمور الإيمان (١ / ٥٠) ثم أورد حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « الإيمان بضع وستون شعبة ، والحياء شعبة من الإيمان » . قال الحافظ فى الفتح (١ / ٥١) : « ووجه الاستدلال بهذه الآية ومناسبتها لحديث الباب تظهر من الحديث الذى رواه عبد الرزاق وغيره من طريق مجاهد أن أبا ذر سأل النبى ﷺ عن الإيمان فتلا ﴿ **ليس البر ...** ﴾ إلى آخرها » ورجاله ثقات إلا أنه ليس على شرطه . ووجهه أن الآية حصرت التقوى على أصحاب هذه الصفات ، والمراد المتقون من الشرك والأعمال السيئة فإذا فعلوا وتركوا فهم المؤمنون الكاملون . والجامع بين الآية والحديث أن الأعمال مع انضمامها إلى التصديق داخله فى مسمى البر كما هى داخله فى مسمى الإيمان » أ . هـ .

ما نهى الله عنه إيماناً بالنهي وخوفاً من وعيده .

كما قال طلق بن حبيب [1] « **إِذا وَقَعَت الفِتْنَةُ فأَطْفِئُوهَا بِالتَّقْوَى ، قَالُواْ : وَمَا التَّقْوىٰ ؟ قَالَ : أَنْ تَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللهِ عَلَى نُورٍ مِنَ اللهِ ، تَرْجُو ثَوَابَ اللهِ ، وَأَنْ تَتْرُكَ مَعْصِيَةَ اللهِ عَلَى نُورٍ مِنَ اللهِ ، تَخَافُ عِقَابَ اللهِ** » [2] .

● وهذا من أحسن ما قيل فى حد التقوى [3] .

فإن كل عمل لا بد له من مبدا وغاية ، فلا يكون العمل طاعة وقربة حتى يكون مصدره عن الإيمان ، فيكون الباعث عليه هو الإيمان المحض ، لا العادة ولا الهوى ولا طلب المحمدة والجاه وغير ذلك ،

---

(١) طَلْق بنُ حَبيب العَنَزيّ تابعى مشهور وصفه الحافظ الذهبى بقوله « بصرى زاهد كبير من العلماء العاملين ... وكان طيب الصوت بالقرآن ، بَرّاً بوالدَيْه » أ . هـ قال طاووس : « مارأيت أحداً أحسن صوتاً منه وكان ممن يخشى الله تعالى » . ترجمته فى : سير أعلام النبلاء (٤ / ٦٠١ : ٦٠٣) . البداية والنهاية (٩ / ١٠١) . تهذيب التهذيب (٥ / ٣١) . الحلية (٣ / ٦٤) . طبقات ابن سعد (٧ / ٢٢٧) .

(٢) **صحيح :**
أخرجه ابن المبارك فى الزهد ص (٤٧٣) وأبو نعيم فى الحلية (٣ / ٦٤) .
كلاهما من طريق سفيان عن عاصم الأحول عن بكر بن عبد الله المزني قال : لما كانت فتنة ابن الأشعث قال طلق بن حبيب : اتقوها بالتقوى . قال بكر : أجمل لنا التقوى ؟ قال : التقوى ... فذكره » .
وهذا السياق لا بن المبارك وأورده من هذا الطريق وبهذا السياق الذهبى فى سير أعلام النبلاء (٤ / ٦٠١) .
وأخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف (١٠٤٠٥) ، (١٧٠٠٩) وفى كتاب الإيمان (٩٩) . قال : حدثنا يحيي بن آدم عن سفيان عن عاصم قال : قلت لطلقٍ بن حبيب : صف لنا التقوى فقال : التقوى ... فذكره . قال الألبانى فى تخريج كتاب الإيمان لابن أبى شيبة ص (٣٩) « وهذا الأثر صحيح السند إلى طلق بن حبيب وهو تابعى عابد » أ . هـ .

(٣) قال الإمام الحافظ الكبير شمس الدين الذهبى رحمه الله فى سير أعلام النبلاء (٤ / ٦٠١) تعليقاً على قول طلق بن حبيب : ــ « قلتُ : أبدع وأوجز ، فلا تقوىٰ إلّا بِعَمَلٍ ، ولا عَمَلَ إلّا بتروٍّ من العِلْم والاتِّباع ، ولا ينفعُ ذلك إلاّ بالإخلاص لله ، لا ليقال : فلان تارك للمعاصى بنور الفقه ، إذ المعاصي يفتقر اجتنابها إلى معرفتها ، ويكونُ التّرْك خَوْفاً من الله ، لا لِيُمْدَحَ بتركها ، فمَنْ داوم على هذه الوصيَّة فقد فَازَ » أ . هـ . قلتُ : قد فصل الحافظ الذهبى فَأَوْجَزَ أيضاً وأجاد ! ! .

بل لا بد أن يكون مبدؤه محض الإيمان ، وغايته ثواب الله وابتغاء مرضاته وهو الاحتساب .

ولهذا كثيراً ما يُقْرَنُ بين هذين الأصلين فى مثل قول النبي ﷺ : « **مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إيمَانَاً وَاحْتِسَابَاً** » و « **وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إيمَانَاً وَاحْتِسَابَاً** » [1] ونظائره .

فقوله « **عَلَى نُورٍ مِنَ الله** » إشارة إلى الأصل الأول : وهو الإيمان الذى هو مصدر العمل والسبب الباعث عليه .

وقوله « **تَرْجُو ثَوابَ الله** » إشارة إلى الأصل الثاني : وهو الاحتساب [2] ، وهو الغاية التى لأجلها توقع العمل ، ولها يقصد به .

ولا ريب أن هذا اسم لجميع أصول الإيمان وفروعه ، وأن البر داخل فى هذا المسمى .

---

(١) أخرجه البخارى : كتاب فضل ليلة القدر (٢٠١٤) : باب فضل ليلة القدر ومسلم : كتاب صلاة المسافرين (٧٦٠) (١٧٥) : باب الترغيب فى قيام رمضان وهو التراويح . من حديث أبى هريرة رضى الله عنه بلفظ : « مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إيمَاناً واحْتِسَاباً ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدمَ مِنْ ذَنْبِهِ . وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إيمَاناً وَاحْتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » . ومن نظائر هذا الحديث مما جمع فيه النبى ﷺ بين الإيمان والاحتساب . ما رواه البخارى : كتاب الإيمان (٤٧) : باب اتباع الجنائز من الإيمان . من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « مَنِ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلم إيمَاناً واحْتِسَاباً وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلَّى عَليها وَيَفْرَغَ مِنْ دَفْنِها فإنَّه يَرْجعُ مِنَ الأَجْرِ بِقيرَاطيْنِ كُلُّ قِيراطٍ مِثْلُ أُحُدٍ .... الحَديثَ » .

(٢) وأما معنى الاحتساب فهو الرغبة فى الأعمال طلباً لوجه الله والثواب * قال الخطابى : قوله « إيمَانَاً واحْتِسَابَاً » : أى نية وعزماً وهو أن يصومه على التصديق والرغبة فى ثوابه طيبة به نفسه ، غير كاره له ، ولا مستثقل لصيامه ، ولا مستطيل لأيامه ، لكن يغتنم طول أيامه لعظم الثواب ا . هـ . وقال البغوى : قوله « احْتِسَابَاً » أى طلباً لوجه الله تعالى وثوابه ، يقال : فلان يحتسب الأخبار ويتحسبها : أى يتطلبها أ . هـ . راجع شرح السنة (٦ / ٢١٨)

وأما عند اقتران أحدهما [1] بالآخر ، كقوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ﴾ [ المائدة : آية ٢ ] ، فالفرق بينهما فرق بين السبب المقصود لغيره والغاية المقصودة لنفسها ، فإن البر مطلوب لذاته ؛ إذ هو كمال العبد وصلاحه الذي لا صلاح له بدونه كما تقدم .

وأما التقوى فهي الطريق الموصل إلى البر والوسيلة إليه ، ولفظها يدل على هذا . فإنها فُعْلَى ، ومن وقى يقي ، وكان أصلها « وَقْوى » ، فقلبوا الواو تاء ، كما قالوا تُراث من الوراثة ، وتُجاه من الوجه ، وتُخمة من الوخمة ، ونظائرها . فلفظها دال على أنها من الوقاية [2] ، فإن المتقي قد جعل بينه وبين النار وقاية ، فالوقاية من باب دفع الضرر ،فالتقوى والبر كالعافية والصحة .

## *ضرر عدم العلم بحدود ما أنزل الله :*

● وهذا باب شريف ينتفع به انتفاعاً عظيما فى فهم ألفاظ القرآن ودلالته ، ومعرفة حدود ما أنزل الله على رسوله ، فإنه هو العلم النافع .

وقد ذم الله تعالى في كتابه من ليس له علم بحدود ما أنزل الله على رسوله .

---

(١) قال الحافظ ابن رجب فى جامع العلوم والحكم ص (٣٠٦) : « وإذا قرن البر بالتقوى كما فى قوله تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ [ المائدة : آية ٢ ] فقد يكون المراد بالبر : معاملة الخلق بالإحسان ، وبالتقوى : معاملة الحق بفعل طاعته واجتناب محرّماته ، وقد يكون أُريد بالبر فعل الواجبات ، وبالتقوى اجتناب المحرمات » أ . هـ .

(٢) قال الحافظ ابن رجب فى جامع العلوم والحكم ص (١٩٠) :

=

● فإن عدم العلم بذلك مستلزم مفسدتين عظيمتين .

إحداهما : أن يُدخل فى مسمى اللفظ ما ليس منه ، فيحكم له بحكم المراد من اللفظ ، فيساوي بين ما فرق الله بينهما .

والثانية : أن يخرج من مسمى بعض أفراده الداخلة تحته ، فيسلب عنه حكمه ، فيفرق بين ما جمع الله بينهما .

والذكى الفطن يتفطن لإفراد هذه القاعدة وأمثالها ، فيرى أن كثيراً من الاختلاف أو أكثره إنما ينشأ من هذا الموضع .

وتفصيل هذا لايفي به كتاب ضخم .

ومن هذا لفظ : ( الخمر ) ، فإنه اسم شامل لكل مسكر ، فلا يجوز إخراج بعض المسكرات منه وينفي عنها حكمه .

وكذلك لفظ : ( المَيْسِرِ ) وإخراج بعض أنواع القمار منه .

وكذلك لفظ : ( النكاح ) وإدخال ما ليس بنكاح فى مسماه .

وكذلك لفظ : ( الربا ) وإخراج بعض أنواعه منه ، وإدخال ما ليس برباً فيه .

وكذلك لفظ : ( الظلم والعدل ) و ( المعروف والمنكر ) ونظائره أكثر من أن تحصى .

---

=

« وأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه ، فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه ... » أ . هـ وراجع هناك ص (١٩١ : ١٩٣) معنى التقوى عند السلف .

● **والمقصود أن المقصود من اجتماع الناس وتعاشرهم** : هو التعاون على البر والتقوى ، فيعين كل واحد صاحبه على ذلك علماً وعملا .

فإن العبد وحده لا يستقل بعلم ذلك ولا بالقدرة عليه ، فاقتضت حكمة الرب سبحانه أن جعل النوع الإنسانى قائماً بعضه ببعضه ، معيناً بعضه لبعضه (1) .

● ثم قال تعالى : ﴿ **وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوانِ** ﴾ .

و ( الإثم والعدوان ) فى جانب النهى نظير : ( البر والتقوى ) فى جانب الأمر .

### *الفرق بين الإثم والعدوان :*

والفرق بين الإثم والعدوان (2) ، كالفرق ما بين محرم الجنس ومحرم القَدْرِ .

**فالإثم** : ما كان حراماً لجنسه .

**والعدوان** : ما حرم لزيادة فى قدره وتعدي ما أباح الله منه .

---

(1) قال الراغب : « إنه لما صعب على كل أحد أن يحصل لنفسه أدنى ما يحتاج إليه إلا بمعاونة عدة له فلقمة طعام لوعددنا تعب تحصيلها من زرع وطحن وخبز وصناع آلاتها لصعب حصره فلذلك قيل الإنسان مدنى بالطبع ولا يمكنه التفرد عن الجماعة بعيشه بل يفتقر بعضهم لبعض فى مصالح الدارين ... »أ . هـ فيض القدير (٦ / ٢٥٢) .

(2) قال الحافظ ابن رجب فى جامع العلوم والحكم ص (٣٠٦) : « وقوله تعالى ﴿ **ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** ﴾ [ المائدة : آية ١٢ ] قد يراد بالإثم المعاصي ، وبالعدوان ظلم الخلق ، وقد يراد بالإثم ما هو محرم فى نفسه كالزنا والسرقة وشرب الخمر وبالعدوان : تجاوز ما أذن فيه إلى ما نهى عنه مما جنسه مأذون فيه كقتل ما أبيح بقصاص ومن لايباح فيه ، وأخذ زيادة على الواجب من الناس فى الزكاة ونحوها ، ومجاوزة الحد فى الذى وصى به فى الحدود ونحو ذلك » أ . هـ .

فالزنا والخمر والسرقة ونحوها : إثم .

ونكاح الخامسة واستيفاء المجنى عليه أكثر من حقه ونحوه : عدوان .

**فالعدوان**[1] : هو تعدي حدود الله التي قال فيها : ﴿ **تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [ البقرة : آية ٢٢٩ ] .

وقال فى موضع آخر ﴿ **تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا** ﴾ [ البقرة : آية ١٨٧ ] فنهى عن تعديها فى آية وعن قربانها فى آية . وهذا لأن حدوده سبحانه هي النهايات الفاصلة بين الحلال والحرام ، ونهاية الشيء تارة تدخل فيه فتكون منه ، وتارة لا تكون داخلة فيه فتكون لها حكم المقابلة . فالاعتبار الأول نهي عن تعديها ، وبالاعتبار الثاني نهي عن قربانها .

* * * *

---

(١) راجع كلام الحافظ ابن القيم على أنواع العدوان عند الكلام على الإثم والعدوان فى كتابه القيم مدارج السالكين (١ / ٣٦٨ ، ٣٧١)

# فصل

## كيف يتم للعبد أداء حق الله وحق المخلوقين ؟

● **فهذا حكم العبد فيما بينه وبين الناس** : وهو أن تكون مخالطته لهم تعاوناً على البر والتقوى ، علماً وعملا .

● **وأما حاله فيما بينه وبين الله تعالى** : فهو إيثار طاعته وتجنب معصيته ، وهو قوله تعالى : ﴿ **وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ** ﴾ .

فأرشدت الآية إلى ذكر واجب العبد بينه وبين الخلق ، وواجبه بينه وبين الحق .

ولا يتم له أداء الواجب الأول إلا بعزل نفسه من الوسط ، والقيام بذلك لمحض النصيحة والإحسان ورعاية الأمر ، ولا يتم له أداء الواجب الثاني إلا بعزل الخلق من البين ، والقيام له بالله إخلاصاً ومحبة وعبودية .

● فينبغي التفطن لهذه الدقيقة ، التي كل خلل يدخل على العبد فى أداء هذين الأمرين الواجبين إنما هو من عدم مراعاتها علماً وعملا .

وهذا معنى قول الشيخ عبد القادر قدَّس الله روحه [1] : « **كُنْ مَعَ الْحَقِ بِلاَ خَلْقٍ ، وَمَعَ الخلْقِ بِلاَ نفْسٍ ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ لَمْ يَزَلْ فِي تَخْبِيطٍ، وَلَمْ يَزَلْ أَمْرُهُ فُرُطَاً** » .

والمقصود بهذه المقدمة ما بعدها .

* * * *

---

(١) هو الشيخ عبد القادر الكيلانى وهذا الكلام أورده أيضاً الحافظ ابن القيم فى مدارج السالكين (٢ / ٣٢٦ ، ٣٢٧ ) حيث قال : « ومدار حسن الخُلق مع الحق ، ومع الخلق . ذكرهما عبد القادر الكيلانى فقال .... فذكره » ثم قال :

« فتأمل . ما أجل هاتين الكلمتين ، مع اختصارهما ، وما أجمعهما لقواعد السلوك ، ولكل خلق جميل ؟ وفساد الخلق إنما ينشأ من توسط الخلق بينك وبين الله تعالى . وتوسط النفس بينك وبين خلقه ، فمتى عزلت الخلق حال كونك مع الله تعالى وعزلت النفس ــ حال كونك مع الخلق ــ فقد فزت بكل ما أشار إليه القوم وشمروا إليه وحاموا حوله . والله المستعان » أ . هـ .

# فصــل

## فى الهجرة إلى الله ورسوله

● لما فصل عير السفر واستوطن المسافر دار الغربة وحيل بينه وبين مألوفاته وعوائده المتعلقة بالوطن ولوازمه : أحدث له ذلك نظراً فأجال فكره فى أهم ما يقطع به منازل السفر إلى الله وينفق فيه بقية عمره ، فأرشده من بيده الرشد إلى أن أهم شيء يقصده إنما هو الهجرة إلى الله ورسوله ، فإنها فرض عين على كل أحد فى كل وقت [(١)] ، وأنه لا انفكاك لأحد من وجوبها ، وهى مطلوب الله ومراده من العباد .

إذ الهجرة هجرتان :

هجرة بالجسم من بلد إلى بلد ، وهذه أحكامها معلومة ، وليس المراد الكلام فيها .

والهجرة الثانية : الهجرة بالقلب إلى الله ورسوله ، وهذه هى المقصودة هنا . وهذه الهجرة هى الهجرة الحقيقية وهى الأصل ، وهجرة الجسد تابعة لها .

---

(١) قال ابن القيم فى طريق الهجرتين ص (٧) فى الحديث عن أولياء الله . وله فى كل وقت هجرتان : هجرة إلى الله بالطلب والمحبة والعبودية والتوكل والإنابة والتسليم والتفويض والخوف والرجاء والإقبال عليه وصدق اللجأ والافتقار فى كل نفس إليه .
وهجرة إلى رسوله فى حركاته وسكناته الظاهرة والباطنة بحيث تكون موافقة لشرعه الذى هو تفصيل محاب الله ومرضاته ولا يقبل الله من أحد ديناً سواه وكل عمل سواه فعيش النفس وحظها لازاد المعاد أ . هـ .

**مبدأ الهجرة ومنتهاها :**

● وهى هجرة تتضمن ( من ) و ( إلى ) فيهاجر بقلبه من محبة غير الله إلى محبته .

ومن عبودية غيره إلى عبوديته .

ومن خوف غيره ورجائه والتوكل عليه ، إلى خوف الله ورجائه والتوكل عليه .

ومن دعاء غيره وسؤاله والخضوع له والذل والاستكانة له إلى دعائه ، وسؤاله والخضوع له والذل له والاستكانة له .

وهذا بعينه معنى الفرار إليه قال تعالى : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللهِ ﴾ [ الذاريات : آية ٥٠ ] .

والتوحيد المطلوب من العبد هو الفرار من الله إليه .

**الفرار إلى الله :**

● وتحت ( من ) و ( إلى ) فى هذا سر عظيم من أسرار التوحيد .

فإن الفرار إليه سبحانه يتضمن إفراده بالطلب والعبودية ولوازمها من المحبة والخشية والإنابة والتوكل وسائر منازل العبودية ، فهو متضمن لتوحيد الإلهية التى اتفقت عليها دعوة الرسل ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

***الفرار من الله :***

● وأما الفرار منه إليه فهو متضمن لتوحيد الربوبية وإثبات القدر ، وأن كل ما فى الكون من المكروه والمحذور الذى يفر منه العبد ، فإنما أوجبته مشيئة الله وحده ، فإنه ما شاء كان ووجب وجوده بمشيئته ، وما لم يشأ لم يكن ، وامتنع وجوده لعدم مشيئته . فإذا فر العبد إلى الله فإنما يفر من شىء إلى شىء وجد بمشيئة الله وقدره فهو فى الحقيقة فارٌّ من الله إليه .

● ومن تصور هذا حق تصوره فهم معنى قوله ﷺ « **وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ** »[1] .

وقوله « **لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَىٰ مِنْكَ إلاَّ إلَيكَ** »[2] . فإنه ليس فى الوجود شيء يُفر منه ويستعاذ منه ، ويلتجأ منه ، إلا هو من الله خلقاً وإبداعاً .

فالفار والمستعيذ : فارٌّ مما أوجده قدر الله ومشيئته وخلقه إلى ما تقتضيه رحمته وبره ولطفه وإحسانه ، ففي الحقيقة هو هارب من الله إليه ، ومستعيذ بالله منه .

---

(١) جزء من حديث عائشة رضى الله عنها قالت : فقدت رسول الله ﷺ لَيْلَةً مِنَ الفِرَاشِ . فَوَقَعَتْ يدى عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجد . وَهُمَا منصوبَتَان وَهُوَ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ ؛ أَعُوذ بِرِضَاكَ مِنْ سَخطِكَ وبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ . لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ » . رواه مسلم : كتاب الصلاة (٤٨٦) (٢٢٢) : باب ما يقال فى الركوع والسجود .

(٢) جزء من حديث البراء بن عازب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ أَمَرَ رَجُلاً ، إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيلِ أَنْ يَقُولَ : « اللَّهُمَّ ؛ أَسْلمتُ نَفْسي إِليكَ وَوَجَّهتُ وَجْهى إِليكَ ، وَأَلجأْتُ ظَهْرِي إِليكَ ، وَفَوَّضتُ أَمْرِى إِليكَ ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِليكَ ، لاَ مَلْجَأَ ولا مَنْجىٰ مِنْكَ إلا إليكَ ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ ، وبِرَسُولِكَ الَّذِى أَرْسَلْتَ فَإِنْ ماتَ مَاتَ على الفِطْرة » . رواه البخارى : كتاب الدعوات (٦٣١٣) : باب ما يقول إذا نام . ومسلم : كتاب الذكر والدعاء (٢٧١٠) (٥٧) : باب مايقول عند النوم وأخذ المضجع . واللفظ له

وتصور هذين الأمرين يوجب للعبد انقطاع تعلق قلبه عن غيره بالكلية خوفاً ورجاء ومحبة ، فإنه إذا علم أن الذي يفر منه ويستعيذ منه إنما هو بمشيئة الله وقدرته وخلقه لم يبق فى قلبه خوف من غير خالقه وموجده ، فتضمن ذلك إفراد الله وحده بالخوف والحب والرجاء ، ولو كان فراره مما لم يكن بمشيئة الله ولا قدْرته ، لكان ذلك موجباً لخوفه منه ؛ مثل ما يفر من مخلوق آخر أقدر منه ، فإنه في حال فراره من الأول خائف منه حذراً أن لا يكون الثاني يفيده منه ، بخلاف ما إذا كان الذي يفر إليه هو الذي قضى وقدَّر وشاء ما يفر منه ، فإنه لا يبقى فى القلب التفات إلى غيره .

● فتفطن إلى هذا السر العجيب في قوله « **أَعُوذُ بِكَ مِنْكَ** » و « **لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَىٰ مِنْكَ إلاَّ إلَيكَ** » فإن الناس قد ذكروا فى هذا أقوالا وقلَّ من تعرَّض منهم لهذه النكتة التي هي لُبّ الكلام ومقصوده . وبالله التوفيق .

● فتأمل كيف عاد الأمر كله إلى الفرار من الله إليه ؛ وهو معنى الهجرة إلى الله تعالى ؟

ولهذا قال النبي ﷺ « **الْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ** » [1] ولهذا يقرن الله سبحانه بين الإيمان والهجرة في غير موضع لتلازمهما واقتضاء أحدهما للآخر .

---

(١) جزء من حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهىٰ اللهُ عَنْهُ » . أخرجه البخارى : كتاب الإيمان (رقم ١٠) : باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده . وكتاب الرقاق (٦٤٨٤) : باب الانتهاء عن المعاصى .

***أصل الهجرة :***

● والمقصود : أن الهجرة إلى الله تتضمن هجران ما يكرهه وإتيان ما يحبه ويرضاه ، وأصلها الحب والبغض ، فإن المهاجر من شيء إلى شيء لا بد أن يكون ما هاجر إليه أحب مما هاجر منه ، فيؤثر أحب الأمرين إليه على الآخر . وإذا كان نفس العبد وهواه وشيطانه إنما يدعونه إلى خلاف ما يحبه ويرضاه ، وقد بُلى بهؤلاء الثلاث ، فلا يزالون يدعونه إلى غير مرضاة ربه ، وداعي الايمان يدعوه إلى مرضاة ربه فعليه فى كل وقت أن يهاجر إلى الله ، ولا ينفك فى هجرته إلى الممات .

* * *

# فصل

## الهجرة بين القوة والضعف

وهذه الهجرة تقوى وتضعف بحسب داعي المحبة فى قلب العبد ، فإن كان الداعي أقوى كانت هذه الهجرة أقوى وأتم وأكمل . وإذا ضعف الداعي ضعفت الهجرة حتى لا يكاد يشعر بها علماً ، ولا يتحرك لها إرادة .

***الهجرة العارضة :***

● والذى يقضى منه العجب : أن المرء يوسع الكلام ويفرع المسائل فى الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام . وفى الهجرة التى انقطعت بالفتح ، وهذه هجرة عارضة ربما لا تتعلق به في العَمر أصلا .

***الهجرة الدائمة :***

● وأما هذه الهجرة التي واجبة على مدى الأنفاس ، فإنه لا يحصّل فيها علماً ولا إرادة وما ذاك إلا للإعراض عما خلق له . والاشتغال بما لا ينجيه وحده عما لا ينجيه غيره . وهذا حال من غَشيَتْ بصيرته وضعفت معرفته بمراتب العلوم والأعمال . والله المستعان وبالله التوفيق ، لا إله غيره ولا رب سواه .

* * * *

# فصل

## في الهجرة إلى رسول الله ﷺ

● وأما الهجرة إلى رسول الله ﷺ فَعَلَمٌ لم يبق منه سوى اسمه ، ومنهج لم تترك بنيَّات الطريق سوى رسمه ، ومحجة سفَت عليها السوافي فطمست رسومها ، وغارت عليها الأعادي فغوَّرت مناهلها وعيونها ، فسالكها غريب بين العباد ، فريد بين كل حي وناد ، بعيد على قرب المكان ، وحيد على كثرة الجيران ، مستوحش مما به يستأنسون ، مستأنس مما به يستوحشون ، مقيم إذا ظعنوا ، ظاعن إذا قطنوا ، منفرد في طريق طلبه ، لا يقر قراره حتى يظفر بأربه . فهو الكائن معهم بجسده ، البائن منهم بمقصده ، نامت فى طلب الهدى أعينهم ، وما ليل مطيته بنائم . وقعدوا عن الهجرة النبوية ، وهو فى طلبها مشمّر قائم ، يعيبونه بمخالفة آرائهم ، ويزرون عليه إزراءه على جهالاتهم وأهوائهم ؛ قد رجموا فيه الظنون ، وأحدقوا فيه العيون ، وتربصوا به ريب المنون ﴿ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ مُّتَرَبِّصُونَ ﴾ [ التوبة : آية ٥٢ ] .

**﴿ قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِ وَرَبُّنَا الرَّحْمٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾** [ الأنبياء : آية ١١٢ ] .

نَحْنُ وَإِيَّاكُمْ نَمُوتُ ، فَمَـا أَفْلَحَ عِنْدَ الْحِسَابِ مَنْ نَدمَا

● والمقصود : أن هذه الهجرة النبوية شأنها شديد . وطريقها على غير المعتاد بعيد .

بَعِيدٌ عَلَى كَسْلان أَوْ ذِى ملاَلَةٍ أَمَّا عَلَى الْمُشْتَاقِ فَهْوَ قَرِيبُ

ولعمر الله ، ماهي إلا نور يتلألأ ، ولكن أنت ظلامه ، وبدر أضاء مشارق الأرض ومغاربها ، ولكن أنت غيمه وقتامه . ومنهل عذب صافي ، وأنت كدره ومبتدأ لخير عظيم ، ولكن ليس عندك خبره .

فاسمع الآن شأن هذه الهجرة والدلالة عليها ، وحاسب ما بينك وبين الله ، هل أنت من المهاجرين لها ، أو المهاجرين إليها ؟

***تعريف الهجرة إلى الرسول ﷺ :***

فحدّ هذه الهجرة : سفر الفكر فى كل مسألة من مسائل الإيمان ، ونازل من منازل القلوب ، وحادثة من حوادث الأحكام إلى معدن الهدى ، ومنبع النور الملتقى من فم الصادق المصدوق الذي ﴿ **وَمَاَ يَنطِقُ عَنِ الْهَوىٰ. إنْ هُوَ إلا وَحْىٌ يُوحَىٰ** ﴾ [ النجم : آية ٣ ، ٤ ] .

فكل مسألة طلعت عليها شمس رسالته ، وإلا فاقذف بها فى بحر الظلمات ، وكل شاهد عدَّله هذا المزكي وإلا فعدَّه من أهل الريب والتهمات ، فهذا حد هذه الهجرة .

فما للمقيم فى مدينة طبعه وعوائده ، القاطن في دار مرباه ومولده ، القائل : إنا على طريقة آبائنا سالكون ، وإنا بحبلهم مستمسكون ، وإنا على آثارهم مقتدون وما لهذه الهجرة ؟ التي كلَّت عليهم ، واستند في طريقة نجاحه وفلاحه إليهم ، معتذراً بأن رأيهم خير من رأيه لنفسه ، وأن ظنونهم وآراءهم أوثق من ظنه وحدسه .

ولو فتشت عن مصدر مقصود هذه الكلمة لوجدتها صادرة عن الإخلاد إلى أرض البطالة ، متولدة بين الكسل وزوجه الملالة .

والمقصود : أن هذه الهجرة فرض على كل مسلم ، وهى مقتضى « شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ » .

كما أن الهجرة الأولى مقتضى « شهادة أن لا إله إلا الله » .

وعن هاتين الهجرتين يسأل كل عبد يوم القيامة ، وفى البرزخ ، ويطالب بها في الدنيا ودار البرزخ ودار القرار .

● قال قتادة[1] : « **كَلِمَتَانِ يُسْأَلُ عَنْهُمَا الأَوَّلُونَ وَالآخِرُونَ : مَاذَا كُنْتُم تَعْبُدُونَ ؟ وَمَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ؟** » .

---

(١) الأثر عن قتادة أورده ابن القيم أيضاً فى إغاثة اللهفان (١ / ٨٤) . من قول قتادة أيضاً . وأورده أيضاً فى مدارج السالكين (١ / ٣٤١) من قول أبى العالية وهو عند ابن جرير بنحوه (كما فى تفسير ابن كثير ٢ / ٥٥٩) من طريق الربيع عن أبى العالية فى قوله ﴿ **فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون** ﴾ . قال : يسأل العباد كلهم عن خلتين يوم القيامة : عما كانوا يعبدون ؟ وماذا أجابوا المرسلين ؟ .

قال ابن القيم فى زاد المعاد ( ١ / ٣٤ ) « فجواب الأولى : بتحقيق « لا اله إلا الله » معرفة وإقراراً وعملاً .

وجواب الثانية بتحقيق « أن محمداً رسول الله » معرفة ، وإقراراً وانقياداً وطاعة » أ . هـ .

وهاتان الكلمتان هما مضمون الشهادتين . وقد قال تعالى :
**﴿ فَلا وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾** [ النساء : آية ٦٥ ] ، فأقسم سبحانه بأجلّ مقسم به ـ وهو نفسه عز وجل ـ على أن لا يثبت لهم الإيمان ، ولا يكونون من أهله ، حتى يحكموا رسول الله ﷺ في جميع موارد النزاع في جميع أبواب الدين .

فإن لفظة « ما » من صيغ العموم ، فإنها موصلة تقتضي نفي الإيمان أو يوجد تحكيمه في جميع ما شجر بينهم .

ولم يقتصر على هذا حتى ضم إليه انشراح صدورهم بحكمه ، حيث لا يجدون في أنفسهم حرجاً ـ وهو الضيق والحصر ـ من حكمه ، بل يقبلوا حكمه بالانشراح : ويقابلوه بالتسليم لا أنهم يأخذونه على إغماض ، ويشربونه على قذى ، فإن هذا منافٍ للإيمان ، بل لابد أن يكون أخذه بقبول ورضا وانشراح صدر .

● ومتى أراد العبد أن يعلم هذا فلينظر في حاله ، ويطالعه في قلبه عند ورود حكمه على خلاف هواه وغرضه ، أو على خلاف ما قلد فيه أسلافه من المسائل الكبار وما دونها **﴿ بَلِ الإنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ . وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ﴾** [ القيامة : آيه ١٤ ، ١٥ ] .

فسبحان الله ! كم من حزازة في نفوس كثير من الناس من كثير من النصوص وبودهم أن لو لم ترد ؟ وكم من حرارة في أكبادهم منها ؟ وكم من شجى في حلوقهم منها ومن موردها ؟ ستبدو لهم تلك السرائر بالذى يسوء ، ويخزي يوم تُبلى السرائر .

● ثم لم يقتصر سبحانه على ذلك حتى ضم إليه قوله تعالى : ﴿ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ [ النساء : آية ٦٥ ] ، فذكر الفعل مؤكداً بمصدره القائم مقام ذكره مرتين ، وهو الخضوع له والانقياد لما حكم به طوعاً ورضا ، وتسليما لا قهراً ومصابرة ، كما يسلم المقهور لمن قهره كرهاً ، بل تسليم عبد مطيع لمولاه وسيده الذى هو أحب شىء إليه ، يعلم أن سعادته وفلاحه فى تسليمه إليه ، ويعلم بأنه أولى به من نفسه ، وأبرَّ به منها وأرحم به منها وأنصح له منها وأعلم بمصالحه منها وأقدر على تخليصها .

فمتى علم العبد هذا من رسول الله ﷺ استسلم له ، وسلم إليه وانقادت له كل علة فى قلبه ، ورأى أن لا سعادة له إلا بهذا التسليم والانقياد .

وليس هذا مما يحصل معناه بالعبارة ، بل هو أمر انشق القلب واستقر في سويدائه لاتفي العبارة بمعناه ولا مطمع فى حصوله بالدعوى والأماني .

وَكُلٌّ يَدَّعِي وَصْلاً للَّيْلَى ولَيْلَى لاَ تُقِرُّ لَهُمْ بِذَاكَ

● وفرق بين علم الحب وحال الحب . فكثيراً ما يشتبه على العبد علم الشىء بحاله ووجوده ، وفرق بين المريض والعارف بالصحة والاعتدال ، وهو مثخن بالمرض ، وبين الصحيح السليم ، وإن لم يحسن وصف الصحة والعبارة عنها . وكذلك فرق بين وصف الخوف والعلم به وبين حاله ووجوده .

## مافى الآية من تأكيد اتباع الرسول ﷺ :

● وتأمل تأكيده سبحانه لهذا المعنى المذكور فى الآية بوجوه عديدة من التأكيد :

**أولها** : تصديرها بتضمن المقسم عليه للنفي وهو قوله : ﴿ **لا يؤمنون** ﴾ وهذا منهج معروف في كلام العرب ، إذا أقسموا على شيء منفي صدَّروا جملة القسم بأداة نفي مثل هذه الآية .

ومثل مافى قول الصديق لعمر رضى الله عنه « **لاَهَا الله إذاً لاَ يَعْمَدُ إلى أَسَدٍ من أُسْدِ الله يقاتل عن الله ورسوله فيعطيك سَلَبَه** » [1] .

---

(١) جزء من حديث أبى قتادة الطويل الذى فيه قول النبى ﷺ « مَنْ قَتَلَ قَتِيلاً لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ ، فَلَهُ سَلَبُهُ » . أخرجه البخارى : كتاب فرض الخمس ( ٣١٤٢ ) : باب من لم يخمس الأسلاب . ومسلم : كتاب الجهاد والسير ( ١٧٥١ ) ( ٤١ ) : باب استحقاق القاتل سلب القتيل . وقوله « لا ها الله إذاً لا يعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله فيعطيك سلبه » . معناه : لا والله حينئذ لا يقصد رسول الله ﷺ إلى رجل كأنه أسد فى الشجاعة يقاتل عن دين الله ورسوله فيأخذ حقه ويعطيكه بغير طيبة من نفسه. راجع الفتح ( ٨ / ٣٨ ) . وقوله « لا ها الله إذاً » . قال الخطابى فى معالم السنن ( ٤ / ٤١ ) : هكذا يروى والصواب « لا ها الله ذا » بغير ألف قبل الذال ومعناه فى كلامهم : لا والله ، يجعلون الهاء مكان الواو ، ومعناه : لا والله لا يكون ذا : أ . هـ . وهذا القول هو قول غير واحد من أهل العربية منهم المازنى وأبو زيد وغيرهم كما نقله الحافظ فى الفتح عنهم وقد رد الحافظ على كلام الخطابى هذا بقوله فى الفتح ( ٨ / ٣٧ ) : « هكذا ضبطناه فى الأصول المعتمدة من الصحيحين وغيرهما بهذه الأحرف « لا ها الله اذاً » ثم استفاض فى بيان توجيه هذه الرواية واثبات أنها صحيحة راجع فتح البارى ( ٨ / ٣٧ : ٤٠ ) فى بحث رائع جداً فى هذه المسألة فقال بعد ذلك . ويؤيد ما رجحه من الاعتماد على ما ثبتت به الرواية كثرة وقوع هذه الجملة فى كثير من الأحاديث :
منها ما وقع فى حديث عائشة فى قصة بريرة كما ذكرت أن أهلها يشترطون الولاء قالت فانتهرتها فقلت : « لا ها الله اذا » ومنها ما وقع فى قصة جليبيب ــ بالجيم والموحدتين مصغراً ــ « أن النبى ﷺ خطب عليه امرأة من الأنصار إلى أبيها فقال : حتى أستأمر أمها . قال فذهب إلى امرأته فذكر لها فقالت : لا ها الله إذاً وقد منعناها فلانا » الحديث ، صححه ابن حبان من حديث أنس . ومنها ما أخرجه أحمد فى الزهد قال : قال مالك بن دينار للحسن يا أبا سعيد لو لبست مثل عباءتى هذه . قال : لا ها الله

=

وقول الشاعر :

فَلا وَأَبِيكِ أبنت الْعَامِرِيِّ          لا يَدَّعِي الْقَوْمُ أَنِّي أَفِرُّ

وقال الآخر :

فَلا وَاللهِ لاَ يُلْقَى لِمَا بِي          وَلا لِمَا بِهِمْ أَبَداً دَوَاءُ

وهذا في كلامهم أكثر من أن يذكر .

وتأمل جمل القسم التي في القرآن المصدرة بحرف النفي كيف تجد المقسم عليه منفياً ومتضمناً للنفي ؟ ولا يحرم هذا قوله تعالى : ﴿ **فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرآنٌ كَرِيمٌ** ﴾ [ الواقعة : آية ٧٥ : ٧٧ ] .

فإنه لما كان المقصود بهذا القسم نفي ما قاله الكفار في القرآن : من أنه شعر ، أو كهانة ، أو أساطير الأولين ، صدر القول

---

= إذاً ألبس مثل عباءتك هذه » . وفي تهذيب الكمال في ترجمة ابن أبي عتيق أنه دخل على عائشة في مرضها فقال : « كيف أصبحت جعلني الله فداك قالت : أصبحت ذاهبة قال : فلا إذاً وكان فيه دعابة » . ووقع في كثير من الأحاديث في سياق الإثبات بقسم وبغير قسم : فمن ذلك قصة جليبيب ، ومنها حديث عائشة في قصة صفية لما قال ﷺ : « أحا بستنا هي ؟ وقال إنها طافت بعد ما أفاضت فقال : فلتنفر إذاً » وفي رواية : « فلا إذاً » . ومنها حديث عمرو بن العاص وغيره في سؤاله عن أحب الناس فقال : عائشة . فقال : لم أعن النساء ؟ قال : فأبوها إذاً » . ومنها حديث ابن عباس في قصة الأعرابي الذى أصابته الحمى فقال « بل حمى تفور ، على شيخ كبير ، تزيره القبور . قال : فنعم اذاً » . ومنها ما أخرجه الفاكهي من طريق سفيان قال : « لقيت ليطة بن الفرزدق فقلت : أسمعت هذا الحديث من أبيك ؟ قال أى ها الله اذاً ، سمعت أبي يقول » فذكر القصة . ومنها ما أخرجه عبد الرزاق عن ابن جريج قال : قلت لعطاء أرأيت لو أني فرغت من صلاتي فلم أرض كمالها ، أفلا أعود لها ، قال : بلى ها الله إذاً » . والذى يظهر من تقدير الكلام بعد أن تقرر أن « إذاً » حرف جواب وجزاء أنه كأنه قال : « إذاً والله أقول لك نعم ، وكذا في النفي كأنه أجابه بقوله إذاً والله لا نعطيك ، إذا والله لا أشترط ، إذاً والله لا ألبس وآخر حرف الجواب في الأمثلة كلها ... » . ثم قال الحافظ بعد ذلك : « وإنما أطلت في هذا الموضع لأنني منذ طلبت الحديث ووقفت على كلام الخطابي وقعت عندى منه نفرة للإقدام على تخطئة الروايات الثابتة » راجع فتح الباري ( ٨ / ٣٧ : ٤٠ ) في بحث رائع في هذه المسألة .

بأداةالنفى . ثم أثبت له ما قالوه ، فتضمنت الآية أن ليس الأمر كما يزعمون ، ولكنه قرآن كريم .

ولهذا صرح بالأمرين : النفى والإثبات فى مثل قوله تعالى : ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * اَلْجَوارِ الْكُنَّسِ * وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالْصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ * إِنَّه لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُّطاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَما صَاحِبُكُم بمَجْنُونٍ * وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ * وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ * وَمَاهُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴾ [ التكوير : الآيات ١٥ : ٢٥ ] .

وكذلك قوله : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ـــ إلى قوله ـــ بَنَانَهُ ﴾ [ القيامة : الآيات ١ : ٤ ] .

والمقصود : أن افتتاح هذا القسم بأداة النفي يقتضي تقوية المقسم عليه ، وتأكيده وشدة انتفائه .

**وثانيها** : تأكيده بنفس القسم .

**وثالثها** : تأكيده بالمقسم به وهو إقسامه بنفسه لا بشيء من مخلوقاته ، وهو سبحانه يقسم بنفسه تارة وبمخلوقاته تارة .

**ورابعها** : تأكيده بانتفاء الحرج ، وهو وجود التسليم .

**وخامسها** : تأكيد الفعل بالمصدر ، وما هذا التأكيد إلا لشدة الحاجة إلى هذا الأمر العظيم ، وإنه مما يعتني به ويقرر في نفوس العباد بما هو أبلغ من أنواع التقرير .

## كيف يكون حب الرسول ﷺ :

وقال تعالى : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [ الأحزاب : آية ٦ ] وهو دليل على أن من لم يكن الرسول أولى به من نفسه فليس من المؤمنين ، وهذه الأولوية تتضمن أموراً :

* **منها** : أن يكون أحب إلى العبد من نفسه ، لأن الأولوية أصلها الحب ، ونفس العبد أحب له من غيره ، ومع هذا يجب أن يكون الرسول أولى به منها ، وأحب إليه منها ، فبذلك يحصل له اسم الإيمان .

ويلزم من هذه الأولوية والمحبة كمال الانقياد والطاعة والرضا والتسليم ، وسائر لوازم المحبة ، من الرضا بحكمه والتسليم لأمره وإيثاره على ماسواه .

* **ومنها** : أن لا يكون للعبد حكم على نفسه أصلاً ، بل الحكم على نفسه للرسول ﷺ يحكم عليها أعظم من حكم السيد على عبده أو الوالد عن ولده ، فليس له فى نفسه تصرف قط إلا ما تصرف فيه الرسول الذى هو أولى به منها .

فيا عجباً كيف تحصل هذه الأولوية لعبد قد عزل ما جاء به الرسول ﷺ عن منصب التحكيم ، ورضي بحكم غيره واطمأن إليه أعظم من اطمئنانه إلى الرسول ﷺ ، وزعم أن الهدى لا يتلقى من مشكُاته ، وإنما يتلقى من دلالة العقول ، وأن الذى جاء به لا يفيد اليقين ، إلى غير ذلك من الأقوال التي تتضمن الإعراض عنه وعما جاء به ، والحوالة في العلم النافع إلى غيره ، ذلك هو الضلال البعيد . ولا

سبيل إلى ثبوت هذه الأولوية إلا بعزل كل ما سواه ، وتوليته في كل شيء وعرض ما قاله كل أحد سواه على ما جاء به ، فإن شهد بالصحة قبله ، وإن شهد له بالبطلان ردّه . وإن لم تتبين شهادته له بصحة ولا ببطلان ، جعله بمنزلة أحاديث أهل الكتاب ووقفه حتى يتبين أى الأمرين أولى به ؟ .

● فمن سلك هذه الطريقة استقام له سفر الهجرة واستقام له علمه وعمله ، وأقبلت وجوه الخلق إليه من كل جهة .

***أدعياء المحبة :***

ومن العجب أن يدعى حصول هذه الأولوية والمحبة التامة من كان سعيه واجتهاده ونصبه فى الاشتغال بأقوال غيره وتقريرها ، والغضب والمحبة لها والرضا بها والتحاكم إليها وعرض ما قاله الرسول عليها ،فإن وافقها قبله ، وإن خالفها التمس وجوه الحيل ، وبالغ فى رده ليًّا وإعراضاً .

كما قال تعالى : ﴿ **وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً** ﴾ [ النساء : آية ١٣٥ ] .

● وقد اشتملت هذه الآية على أسرار عظيمة يجب التنبيه على بعضها لشدة الحاجة إليها .

قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا كُونُوْا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لله** -إلى قوله- **فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً** ﴾ [ النساء : آية ١٣٥ ] .

فأمر سبحانه بالقيام بالقسط وهو العدل في هذه الآية ، وهذا أمر بالقيام به في حق كل أحد عدواً كان أو وليّاً وأحق ما قام له العبد بقصد الأقوال والآراء والمذاهب ، إذ هى متعلقة بأمر الله وخبره .

فالقيام فيها بالهوى والمعصية مضاد لأمر الله ، مُنافٍ لما بعث به رسوله .

### *القيام بالقسط وظيفة خلفاء الرسل :*

والقيام فيها بالقسط وظيفة خلفاء الرسول فى أمته وأمنائه بين أتباعه ، ولا يستحق اسم الأمانة إلا من قام فيها بالعدل المحض نصيحة لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولعباده .

وأولئك هم الوارثون حقاً .

لا من يجعل أصحابه ونحلته ومذهبه معياراً على الحق وميزاناً له ، يعادي من خالفه ويوالى من وافقه بمجرد موافقته ومخالفته ، فأين هذا من القيام بالقسط الذى فرضه الله على كل أحد ؟ وهو في هذا الباب أعظم فرضاً ، وأكبر وجوباً ؟ .

### *معنى القيام لله بالقسط والشهادة :*

● ثم قال : ﴿ **شُهَدَاءَ لله** ﴾ الشاهد هو المخبر ، فإن أخبر بحق فهو شاهد عدل مقبول ، وإن أخبر بباطل فهو شاهد زور .

وأمر تعالى أن يكون شهيداً له مع القيام بالقسط وهذا يتضمن أن تكون الشهادة بالقسط ، وأن تكون لله لا لغيره .

وقال فى الآية الأخرى ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ لله شُهَدَاءَ بِالقِسْطِ ﴾ [ المائدة : آية ٨ ] فتضمنت الآيتان أموراً أربعة :

أحدها : القيام بالقسط .

الثانى : أن يكون لله .

الثالث : الشهادة بالقسط .

الرابع : أن تكون لله .

واختصت آية النساء بالقسط والشهادة لله وآية المائدة بالقيام لله والشهادة بالقسط لسر عجيب من أسرار القرآن ، ليس هذا موضع ذكره .

***القيام لله بالقسط والشهادة فيه اختبار لإيمان العبد :***

● ثم قال تعالى : ﴿ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ ﴾ [ النساء : آية ١٣٥ ] ، فأمر سبحانه أن يقام بالقسط ويشهد على كل أحد ولو كان أحب الناس إلى العبد فيقوم بالقسط على نفسه ووالديه اللذين هما أصله ، وأقاربه الذين هم أخص به ، والصديق من سائر الناس ، فإن كان مافى العبد من محبة لنفسه ولوالديه وأقاربه يمنعه من القيام عليهم بالحق ، ولا سيما إذا كان الحق لمن يبغضه ويعاديه قبلهم ، فإنه لا يقوم به فى هذا الحال إلا من كان الله ورسوله أحب إليه من كل ما سواهما .

وهذا يمتحن به العبد إيمانه فيعرف منزلة الإيمان من قلبه ومحله منه ، وعكس هذا عدل العبد فى أعدائه ومن يجفوه ، فإنه لا ينبغى أن

يحمله بغضه لهم أن يحيف عليهم ، كما لا ينبغى أن يحمله حبه لنفسه ووالديه وأقاربه على أن يترك القيام عليهم بالقسط ، فلا يدخله ذلك البغض فى باطل ولا يقصر به هذا الحب عن الحق .

كما قال بعض السلف [1] : « **العَادلُ هو الَّذى إذا غضب لم يُدْخِلْهُ غَضَبُه فى بَاطِلٍ ، وَإذا رَضِىَ لَم يُخْرِجْهُ رِضَاهُ عَن الْحَقِ** » .

● اشتملت الآيتان على هذين الحكمين : وهما القيام بالقسط والشهادة به على الأولياء والأعداء .

● ثم قال تعالى: ﴿ **إن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللهُ أَوْلى بِهِمَا** ﴾ [ النساء : آية ١٣٥ ] **منكم ، هو ربهما ومولاهما وهما عبيده ، كما أنكم عبيده فلا تحابوا غنياً لغناه ، ولا فقيراً لفقره ، فإن الله أولى بهما منكم .**

**وقد يقال فيه معنى آخر أحسن من هذا ، وهو أنهم ربماخافوا من القيام بالقسط وأداء الشهادة على الغنى والفقير .**

**أما الغنى فخوفاً على ماله ، وأما الفقيرفلإعدامه وأنه لاشىء له ؛ فتتساهل النفوس فى القيام عليه بالحق . فقيل لهم والله أولى بالغنى والفقير منكم ، أعلم بهذا وأرحم بهذا ، فلا تتركوا أداء الحق والشهادة على غنى ولا فقير .**

---

(١) أورده الغزالى فى الإحياء ( ٣ / ١٨٧ ) من قول محمد بن كعب بلفظ : « ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان بالله : إذا رضى لم يدخله رضاه فى الباطل ، وإذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق ، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له » .

● ثم قال تعالى ﴿ فَلاَ تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا ﴾ .

نهاهم عن اتباع الهوى الحامل على ترك العدل .

وقوله تعالى : ﴿ أن تَعْدِلُوا ﴾ منصوب الموضع لأنه مفعول لأجله ، وتقديره عند البصريين كراهية أن تعدلوا ، أو حذر أن تعدلوا ، فيكون اتباعكم للهوى كراهية العدل أو فراراً منه . وعلى قول الكوفيين التقدير أن لا تعدلوا ، وقول البصريين أحسن وأظهر .

***أسباب كتمان الحق : اللّى والإعراض :***

ثم قال تعالى : ﴿ وَإن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴾ [ النساء آية ١٣٥ ] .

ذكر سبحانه السببين الموجبين لكتمان الحق ، محذراً منهما ومتوعداً عليهما .

أحدهما : الَّلى .

والآخر : الإعراض . .

فإن الحق إذا ظهرت حجته ولم يجد من يروم دفعها طريقاً إلى دفعها ، أعرض عنها وأمسك عن ذكرها فكان شيطاناً أخرس ، وتارة يلويها ويحرفها .

اللّى مثال الفتل وهو التحريف .

وهو نوعان : لى فى اللفظ ، ولى فى المعنى .

ـــ فاللّى فى اللفظ أن يلفظ بها على وجه لا يستلزم الحق ، إما بزيادة لفظه أو نقصانها أو إبدالها بغيرها .

ولى فى كيفية أدائها وإيهام السامع لفظا وإرادة غيره ، كما كان اليهود يلوون ألسنتهم بالسلام على النبى ﷺ ، فهذا أحد نوعى اللى .

ـــ والنوع الثانى منه : لى المعنى وهو تحريفه وتأويل اللفظ على خلاف مراد المتكلم ، وبجهالة ما لم يرده أو يسقط منه لبعض المراد به ، ونحو هذا من لى المعانى ، فقال تعالى ﴿ **وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً** ﴾ [ النساء : آية ١٣٥ ] .

● ولما كان الشاهد مطالباً بأداء الشهادة على وجهها فلا يكتمها ولا يغيرها كان الإعراض نظير الكتمان .

واللّى نظير تغييرها وتبديلها .

فتأمل ما تحت هذه الآية من كنوز العلم .

والمقصود : أن الواجب الذى لا يتم الإيمان ، بل لا يحصل مسمى الإيمان إلا به ، مقابلة النصوص بالتلقى والقبول والإظهار لها ودعوة الخلق إليها ، ولا تقابل بالاعتراض تارة وباللى أخرى .

* * *

● وقال تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِن أَمْرِهِمْ** ﴾ [ الأحزاب : آية ٣٦ ] فدل هذا على أنه إذا ثبت لله ورسوله فى كل مسألة من المسائل حكم طلبى أو خبرى ، فإنه ليس لأحد أن يتخير لنفسه غير ذلك الحكم

فيذهب إليه ، وأن ذلك ليس لمؤمن ولا مؤمنة أصلا ، فدل على أن ذلك مناف للإيمان .

### *إجماع الصحابة والتابعين على وجوب اتباع السنة عند ثبوتها :*

● وقد حكى الشافعى [1] رضى الله عنه إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، على أن « مَنْ اسْتَبَانَتْ لَهُ سُنَّةُ رَسُول الله ﷺ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يَدَعَهَا لِقَوْلِ أَحَد » ، ولم يسترب أحد من أئمة الإسلام فى صحة ما قاله الشافعى رضى الله تعالى عنه .

فإن الحجة الواجب اتباعها على الخلق كافة إنما هو قول المعصوم الذى لاينطق عن الهوى ، وأما أقوال غيره فغايتها أن تكون سائغة الاتباع فَضْلاً عن أن يعارض بها النصوص وتقدم عليها ، عياذاً بالله من الخذلان .

### *الهداية فى طاعة الرسول*

● وقال تعالى ﴿ **قُل أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ـــ إلى قوله ـــ الْبَلاَغُ المُبِينُ** ﴾ [ المائدة : آية ٩٢ ] .

فأخبر سبحانه أن الهداية فى طاعة الرسول لا فى غيرها ، فإنه معلق بالشرط فينتفى بانتفائه وليس هذا من باب دلالة المفهوم ، كما

---

(١) أورده ابن القيم في أعلام الموقعين ( ٢ / ٣٦١ ) .
والفلانى فى إيقاظ همم أولى الأبصار ( ٥٨ ) بلفظ : « أجمع المسلمون على أن من استبان له سنة عن رسول الله ﷺ لم يحل له أن يدعها لقول أحد » . وراجع كلام الأئمة الأربعة فى هذا الشأن فى مقدمة صفة صلاة النبى ﷺ للألبانى كرَّمه الله .

يغلط فيه كثير من الناس ويظن أنه محتاج فى تقريره الدلالة منه لا تقرير كون المفهوم حجة . بل هذا من الأحكام التى ترتبت على شروط وعلقت فلا وجود لها بدون شروطها ، إذ ما علق على الشرط فهو عدم عند عدمه ؛ وإلا لم يكن شرطاً له .

إذا ثبت هذا : فالآية نص على انتفاء الهداية عند عدم طاعته .

● وفى إعادة الفعل فى قوله تعالى : ﴿ **وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ** ﴾ [ المائدة : آية ٩٢ ] دون الاكتفاء بالفعل الأول ، سر لطيف وفائدة جليلة ، سنذكرها عن قريب إن شاء الله تعالى .

● وقوله تعالى ﴿ **فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ** ﴾ .[ النور : آية ٥٤ ] .

الفعل للمخاطبين . وأصله فإن تتولوا ، فحذفت إحدى التاءين تخفيفاً .

والمعنى : أنه قد حمل أداء الرسالة وتبليغها ، وحملتم طاعته والانقياد له والتسليم .

كما ذكره البخارى فى صحيحه عن الزهرى قال : « **مِنَ اللهِ الْبَيَانُ وَعَلَى الرَّسُولِ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ** » [1] .

---

(١) الأثر أخرجه البخارى تعليقاً ( ١٣ / ٥٠٣ ) : كتاب التوحيد : باب قول الله تعالى ﴿ **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته** ﴾ . قال الحافظ فى الفتح ( ١٣ / ٥٠٣ ) , هذا وقع فى قصة أخرجها الحميدى فى النوادر ومن طريقه الخطيب قال الحميدى حدثنا سفيان قال : قال رجل للزهرى يا أبا بكر قول النبى ﷺ « ليس منا من شق الجيوب » ما معناه ؟ فقال الزهرى : من الله العلم وعلى رسوله البلاغ وعلينا التسليم » . وهذا الرجل هو الأوزاعى « أخرجه ابن أبى عاصم فى كتاب الأدب وذكر ابن أبى الدنيا عن دحيم عن الوليد بن مسلم عن الأوزاعى قال : قلت =

فإن تركتم أنتم ما حملتموه من الإيمان والطاعة فعليكم لا عليه .

فإنه لم يحمل إيمانكم وإنما حمل تبليغكم .

وإنما حمل أداء الرسالة إليكم .

﴿ فان تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إلاَّ الْبَلاغُ المُبِينُ ﴾ [ النور : آية ٥٤ ] ليس عليه هداهم وتوفيقهم .

● وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ ـــ إلى قوله ـــ وأَحْسَنُ تاوِيلاً ﴾ [ النساء : آية ٥٩ ] .

***النداء بالإيمان ومعنى قول الله ﴿ يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ :***

فأمر سبحانه بطاعته وطاعة رسوله .

● وافتتح الآية بالنداء باسم الإيمان المشعر ، بأن المطلوب منهم من موجبات الاسم الذى نودوا به وخوطبوا به ، كما يقال : يا من أنعم الله عليه وأغناه من فضله ، أحسن كما أحسن الله إليك : ويا أيها العالم علم الناس ما ينفعهم ، ويا أيها الحاكم احكم بالحق ونظائره .

---

= للزهرى ... فذكره » أ . هـ . قلت : ويظهر أن هذه القصة تعددت مع الزهرى فقد روى الإمام محمد بن نصر المروزى ( رقم ٥١٠ ـــ مسند المروزى ) مخطوط بدار الكتب بترقيمى . والفقيه نصر المقدسى فى الحجة على تارك المحجة كما فى مختصر الحجة رقم (٣١) بتحقيقنا من طريق الوليد بن مسلم عن الأوزاعى عن الزهرى قال حدثنى سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام كلهم يحدثون عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع المسلمون إليها أبصارهم وهو مؤمن . فقلت للزهرى ماهذا ؟ فقال : على رسوله البلاغ ، وعلينا التسليم .

● ولهذا كثيراً ما يقع الخطاب فى القرآن بالشرائع كقوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصيامُ ﴾ [ البقرة : آية ١٨٣ ] .

﴿ يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِىَ لِلصَّلاةِ ﴾ [ الجمعة : آية ٩ ] .

﴿ يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعقُودِ ﴾ [ المائدة : آية ١ ] .

ففى هذا إشارة إلى أنكم إن كنتم مؤمنين فالإيمان يقتضى منكم كذا وكذا ، فإنه من موجبات الإيمان وتمامه .

## *طاعة الرسول ﷺ من طاعة الله :*

● ثم قال تعالى : ﴿ **أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأوْلى الأَمْر مِنكُم** ﴾ [ النساء : آية ٥٩ ] .'

فقرن بين طاعة الله والرسول وطاعة أولى الأمر ، وسلط عليهما عاملا واحداً . وقد كان ربما يسبق إلى الوهم أن الأمر يقتضى عكس هذا ، فإنه من يطع الرسول فقد أطاع الله . ولكن الواقع هنا فى الآية المناسب .

وتحته سر لطيف وهو دلالته على أن ما يأمر به رسوله يجب طاعته فيه ، وإن لم يكن مأموراً به بعينه فى القرآن طاعة الرسول مفردة ومقرونة .

فلا يتوهم متوهم أن ما يأمر به الرسول إن لم يكن فى القرآن ، وإلا فلا تجب طاعته فيه .

كما قال النبى ﷺ « **يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانٌ مُتَّكِىءٌ عَلَىٰ أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الأَمْرُ مِنْ أَمْرِى فَيَقُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللهِ تَعَالَىٰ ، مَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ شَىْءٍ اتَّبَعْنَاهُ أَلاَ وَإِنِى أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ** » [1] .

***طاعة أولى الأمر :***

● أما أولو الأمر فلا تجب طاعة أحدهم إلا إذا اندرجت تحت طاعة الرسول ؛ لا طاعة مفردة مستقلة ، كما صح عن النبى ﷺ أنه قال « **عَلَىٰ الْمرءِ السَّمْعُ والطَّاعَةُ فِيما أَحبَ وَكَرِهَ مَا لَمْ يُؤْمَرُ بِمَعْصِيَةِ الله تعالَى . فَإذَا أُمِرَ بِمْعصِيَةِ الله تَعَالَىٰ فَلا سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ** » [2] .

فتأمل كيف اقتضت أعادة هذا المعنى قوله تعالى ﴿ **فَرُدُّوهُ إِلَىٰ اللهِ وَالرَّسُولِ** ﴾ ولم يقل ﴿ **وَإِلَىٰ الرَّسُولِ** ؟ ﴾ فإن الرد إلى القرآن رد إلى الله والرسول ، فما حكم به الله تعالى هو بعينه حكم رسوله ، وما يحكم به الرسول ﷺ هو بعينه حكم الله .

---

(١) أخرجه أبو داود : كتاب السنة (٤٦٠٤) : باب فى لزوم السنة . والترمذى : كتاب العلم (٢٦٦٤) : باب ما نهى عنه أن يقال عند حديث النبى ﷺ وقال : حديث حسن غريب وابن ماجه فى المقدمة (١٢) : باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه . والدارمى (١ / ١١٧) وابن حبان (٩٧ ــ موارد) . وأحمد (٤ / ١٣٠ : ١٣٢) . والحاكم (١ / ١٠٨) . والخطيب فى الكفاية ص (٨) مطولاً . كلهم من حديث المقدام بن معدى كرب رضى الله عنه وقال الألبانى فى تخريج المشكاة (١٦٣) : إسناده صحيح وصححه الشيخ أحمد شاكر فى تعليقه على كتاب الرسالة للإمام الشافعى ص (٩١) والألبانى فى صحيح الجامع (٢٦٤٠) وفى الباب عن أبى رافع وجابر .

(٢) أخرجه البخارى : كتاب الجهاد (٢٩٥٥) : باب السمع والطاعة للإمام . : كتاب الأحكام (٧١٤٤) : باب السمع والطاعة للإمام مالم تكن معصية . ومسلم : كتاب الإمارة (١٨٣٩) (٣٨) : باب وجوب طاعة الأمراء فى غير معصية وتحريمها فى المعصية . من حديث ابن عمر رضى الله عنهما .

فإذا رددتم إلى الله ما تنازعتم فيه يعنى كتابه فقد رددتموه إلى رسوله . وكذلك إذا رددتموه إلى رسوله ، فقد رددتموه إلى الله ، وهذا من أسرار القرآن .

## من هم أولو الأمر ؟ :

وقد اختلفت الرواية عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى فى أولى الأمر ، وعنه فيهم رحمه الله تعالى روايتان :

إحداهما : أنهم العلماء .

والثانية : أنهم الأمراء .

والقولان : ثابتان عن الصحابة فى تفسير الآية ، والصحيح أنها متناولة للصنفين جميعاً ، فإن العلماء والأمراء ولاة الأمر الذى بعث الله به رسوله ، فإن العلماء ولاته حفظاً وبياناً وذباً عنه ورداً على من ألحد فيه وزاغ عنه .

وقد وكلهم الله بذلك فقال تعالى : ﴿ **فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاَءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ** ﴾ [ الأنعام : آية ٨٩ ] فيالها من وكالة أوجبت طاعتهم والانتهاء إلى أمرهم وكون الناس تبعاً لهم .

والأمراء ولاته قياماً وعناية وجهاداً وإلزاماً للناس به ، وأخذهم على يد من خرج عنه .

وهذان الصنفان هما الناس وسائر النوع الإنسانى تبع لهما ورعية .

**وجوب رد موارد النزاع إلى الله ورسوله :**

● ثم قال تعالى : ﴿ **فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ** ﴾ [ النساء : آية ٥٩ ] .

وهذا دليل قاطع على أنه يجب رد موارد النزاع فى كل ما تنازع فيه الناس من الدين كله إلى الله ورسوله لا إلى أحد غير الله ورسوله ، فمن أحال الرد على غيرهما فقد ضاد أمر الله ومن دعا عند النزاع إلى حكم غير الله ورسوله فقد دعا بدعوى الجاهلية ، فلا يدخل العبد فى الإيمان حتى يرد كل ما تنازع فيه المتنازعون إلى الله ورسوله .

ولهذا قال الله تعالى : ﴿ **إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ** ﴾ [ النساء : آية ٥٩ ] وهذا مما ذكرنا آنفاً أنه شرط ينتفى المشروط بانتفائه ، فدل على أن من حَكَّمَ غير الله ورسوله فى موارد مقتضى النزاع كان خارجاً من مقتضى الإيمان بالله واليوم الآخر ، وحسبك بهذه الآية العاصمة القاصمة بياناً وشفاء ، فإنها قاصمة لظهور المخالفين لها ، عاصمة للمتمسكين بها الممتثلين ما أمرت به .

● قال الله تعالى ﴿ **لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وإِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [ الأنفال : آية ٤٢ ] .

وقد اتفق السلف (١) والخلف على أن الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه ، والرد إلى الرسول هو الرد إليه فى حياته ، والرد إلى سنته بعد وفاته .

---

(١) منهم : ميمون بن مهران : قال فى قوله تعالى ﴿ **فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول** ﴾ =

**سعادة الدارين فى رد النزاع إلى الله والرسول :**

● ثم قال تعالى ﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [ النساء : آية ٥٩ ] أى هذا الذى أمرتكم به من طاعتى وطاعة رسولى وأولياء الأمر ، ورد ماتنازعتم فيه إلَيَّ وإلى رسولى خير لكم فى معاشكم ومعادكم ، وهو سعادتكم فى الدارين ، فهو خير لكم وأحسن عاقبة .

فدل هذا على أن طاعة الله ورسوله وتحكيم الله ورسوله ، هو سبب السعادة عاجلا وآجلا . ومن تدبر العالم والشرور الواقعة فيه علم أن كل شر فى العالم سببه مخالفة الرسول والخروج عن طاعته ، وكل خير فى العالم فإنه بسبب طاعة الرسول .

وكذلك شرور الآخرة وآلامها وعذابها إنما هو من موجبات مخالفة الرسول ومقتضياتها ، فعاد شر الدنيا والآخرة إلى مخالفة الرسول وما يترتب عليه ، فلو أن الناس أطاعوا الرسول حق طاعته لم يكن فى الأرض شر قط ، وهذا كما أنه معلوم فى الشرور العامة والمصائب الواقعة فى الأرض ، فكذلك هو فى الشر والألم والغم الذى يصيب العبد فى نفسه ، فإنما هو بسبب مخالفة الرسول ، ولأن طاعته هى الحصن الذى من دخله كان من الآمنين ، والكهف الذى من لجأ إليه كان من الناجين .

---

= [ النساء : آية ٥٩ ] مادام حياً فإذا قبض فإلى سنته . أخرجه اللالكائى فى السنة (١ / ٧٢ ، ٧٣) والطبرى فى تفسيره (٩٨٨٢ ، ٩٨٨٣) والخطيب فى الفقيه (١ / ١٤٤) . وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ص (٥٥٧ ، ٥٦١) . وابن المنذر كما فى الدر المنثور (٢ / ١٨٧) . ــ ومنهم مجاهد بنحوه : اخرجه الخطيب فى الفقيه (١ / ١٤٤) . والطبرى فى التفسير (٩٨٧٩ ، ٩٨٨٠ ، ٩٨٨١) . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور (٢ / ١٧٨) لسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم . ــ ومنهم عطاء بن أبى رباح : أخرجه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم ص (٣١٧) . ــ ومنهم السدى : أخرجه الطبرى فى تفسيره (٩٨٨٥) . * قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى (٨ / ٢٥٤) : « أى إن تنازعتم فى جواز الشيء وعدم جوازه فارجعوا إلى الكتاب والسنة والله أعلم » أ . هـ .

فعلم أن شرور الدنيا والآخرة إنما هو الجهل بما جاء به الرسول ﷺ والخروج عنه .

وهذا برهان قاطع على أنه لا نجاة للعبد ولا سعادة إلا بالاجتهاد فى معرفة ما جاء به الرسول ﷺ علماً والقيام به عملا .

***كمال السعادة :***

● وكمال هذه السعادة بأمرين آخرين :

أحدهما : دعوة الخلق إليه .

والثانى : صبره وإجتهاده على تلك الدعوة .

● فانحصر الكمال الإنسانى على هذه المراتب الأربعة :

أحدها : العلم بما جاء به الرسول ﷺ .

والثانية : العمل به .

والثالثة : نشره فى الناس ودعوتهم إليه .

والرابعة : صبره وجهاده فى أدائه وتنفيذه .

ومن تطلعت همته إلى معرفة ما كان عليه الصحابة رضى الله عنهم ، وأراد اتباعهم فهذه طريقتهم حقاً :

فَإِنْ شِئْتَ وَصْلَ الْقَوْمِ فَاسْلُكْ سَبِيلَهُمْ
فَقَدْ وَضَحَتْ لِلسَّالِكِينَ عَيَاناً

وقال تعالى لرسوله ﷺ : ﴿ **قُلْ إن ضَلَلْتُ فَإنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِى إلَّى رَبِّى إنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ** ﴾ [ سبأ : آية٥٠ ] .

فهذا نص صريح فى أن هدى الرسول ﷺ إنما يحصل بالوحى ، فيا عجباً ! كيف يحصل الهدى لغيره من الآراء والعقول المختلفة والأقوال المضطربة ؟ ولكن من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً .

فأى ضلال أعظم من ضلال من زعم أن الهداية لا تحصل بالوحى ، ثم يحيل فيها على عقل فلان ورأى فلان ؟ وقول زيد وعمرو ؟ ولقد عظمت نعمة الله على عبد عافاه من هذه البلية العظمى والمصيبة الكبرى ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

**من لا يتبع الوحى فقد اتبع الباطل :**

● وقال تعالى : ﴿ **المٓصٓ . كِتَابٌ أُنزِلَ إلَيْكَ فَلا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ للمُؤْمِنِينَ * اتَّبِعُواْ مَا أُنْزِلَ إلَيْكُمْ مِن رَّبِكُمْ ولاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِه أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ** ﴾ [ الأعراف : الآيات ١ : ٣ ] فأمر سبحانه باتباع ما أنزل على رسوله ونهى عن اتباع غيره . فما هو إلا اتباع المنزل ، واتبع أولياء من دونه . فإنه لم يجعل بينهما واسطة . فكل من لا يتبع الوحى فإنما يتبع الباطل واتبع أولياء من دون الله ، وهذا بحمد الله ظاهر لاخفاء به .

**حال الخلة التى خلاف طاعة الرسول ﷺ فى يوم القيامة :**

● **وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يالَيْتَنى آتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبيلاً * يَاوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَناً خَلِيلاً * لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ آلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِى وَكَانَ الشَّيْطَانُ للإِنسانِ خَذُولاً ﴾** [ الفرقان : الآيات ٢٧ : ٢٩ ] .

فكل من اتخذ غير الرسول ، يترك لأقواله وآرائه ما جاء به الرسول ﷺ فإنه قائل هذه المقالة لامحالة . ولهذا ، هذا الخليل كنى عنه باسم فلان . إذا لكل متبع أولياء من دون الله فلان وفلان .

فهذا حال الخليلين المتخالين على خلاف طاعة الرسول ﷺ ومآل تلك الخلة إلى العداوة واللعنة .

كما قال تعالى : **﴿ الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾** [ الزخرف : آية ٦٧ ] .

وقد ذكر حال هؤلاء الأتباع وحال من تبعوهم فى غير موضع من كتابه كقوله تعالى : **﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَالَيْتَنَا أَطَعْنَا الله وَأَطَعْنَا الرَّسُولَاْ * وَقَالُواْ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَراءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَاْ * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً ﴾** [ الأحزاب : الآيات ٦٦ : ٦٨ ] .

تمنى القوم طاعة الله ورسوله حين لا ينفعهم ذلك ، واعتذروا بأنهم أطاعوا كبراءهم ورؤساءهم ، واعترفوا بأنهم لاعذر لهم فى ذلك ، وأنهم أطاعوا السادات والكبراء وعصوا الرسول ، وآلت تلك الطاعة والموالاة إلى قولهم **﴿ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنِ العَذَابِ وَالْعَنْهُمْ**

**لعْنَاً كبِيراً ﴾** [ الأحزاب : آية ٦٨ ] . وفى بعض هذا عبرة للعاقل وموعظة شافية ، وبالله التوفيق .

* * *

● وقال تعالى : **﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآياتهِ أُوْلَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبهُم مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوفَّونَهُم قَالُوا : أَيْنَ مَا كُنتُم تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ ؟ قَالُواْ : ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ * قَالَ : ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِنَ الجِنّ وَالإنس فِي النَّارِ ، كُلَّما دَخَلَتْ أُمةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَميعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأولاهُمْ : رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ . قَالَ : لِكُلٍ ضِعْفٌ ، وَلَكِن لاتَعْلَمُونَ . وَقَالَتْ أُولاهُمْ لأُخْرَاهُمْ : فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُم تَكْسِبُونَ ﴾** [ الأعراف : الآيات ٣٧ : ٣٩ ] .

فليتدبر العاقل هذه الآيات ، وما اشتملت عليه من العبر .

***الصنفان المبطلان :***

وقوله تعالى : **﴿ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾** [ الأعراف : آية ٣٧ ] ذكر الصنفين المبطلين .

أحدهما : منشىء الباطل والفرية وواضعها وداعى الناس إليها .

والثانى : مكذب بالحق .

فالأول : كفره بالافتراء وإنشاء الباطل .

والثانى : كفره بجحود الحق .

ولهذا قال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللهِ زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ** ﴾ [ النحل : آية ٨٨ ] ، فلما كفروا وصدوا عباده عن سبيله عذبهم عذابين : عذاباً بكفرهم وعذاباً بصدّهم عن سبيله .

وحيث يذكر الكفر المجرد لا يعدد العذاب .

كقوله تعالى : ﴿ **وَالْكَافِرِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [ آل عمران : آية ١٤٠ ] .

وقوله تعالى : ﴿ **أُوْلَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ** ﴾ [ الأعراف : آية ٣٧ ] يعنى ينالهم ما كتب لهم فى الدنيا من الحياة والرزق وغير ذلك .

﴿ **حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ ؟ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا** ﴾ [ الأعراف : آية ٣٧ ] زالوا وفارقوا وبطلت تلك الدعوة .

﴿ **وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ ، قال : ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِ وَالإِنسِ فِي النَّارِ** ﴾ [ الأعراف : آية ٣٧ ، ٣٨ ] ، ادخلوا فى جملة هذه الأمم .

﴿ **كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمةٌ لَّعَنتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جميعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ** ﴾ [ الأعراف : آية ٣٨ ] كل أمة متأخرة لأسلافها .

﴿ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ ﴾ [ الأعراف : آية ٣٨ ] ضاعفه عليهم بما أضلونا وصدونا عن طاعة رسلك ، قال الله تعالى : ﴿ لِكُلٍّ ضِعْفٌ ﴾ [ الأعراف : آية ٣٨ ] من الأتباع والمتبوعين بحسب ضلاله وكفره ﴿ وَلَكِن لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [ الأعراف : آية ٣٨ ] لا تعلم كل طائفة بما فيه أختها من العذاب المضاعف .

﴿ وَقَالَتْ أُولاَهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَما كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ ﴾ [ الأعراف : آية ٣٩ ] فإنكم جئتم بعدنا فأرسلت فيكم الرسل وبينوا لكم الحق وحذروكم من ضلالنا ونهوكم عن اتباعنا وتقليدنا ، فأبيتم إلا اتباعنا وتقليدنا ، وترك الحق الذى أتتكم به الرسل . فأى فضل كان لكم علينا ، وقد ضللتم كما ضللنا ، وتركتم الحق كما تركنا ، فضللتم أنتم بنا كما ضللنا نحن بقوم آخرين . فأى فضل كان لكم علينا ؟

﴿ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ [ الأعراف : آية ٣٩ ] فلله ما أشفاها من موعظة وما أبلغها من نصيحة ، لو صادفت من القلوب حياة . فإن هذه الآية وأمثالها ، مما يذكر قلوب السائرين إلى الله ، وأما أهل البطالة فليس عندهم من ذلك خبر .

* * * *

# فصل
## معركة الأتباع والمتبوعين

فهذا حكم الأتباع والمتبوعين المشتركين فى الضلالة .

وأما الأتباع المخالفون لمتبوعيهم ، العادلون عن طريقتهم الذين يزعمون أنهم لهم تبع وليس متبعين لطريقتهم ، فهم المذكورون فى قوله تعالى : ﴿ **إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتبعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبرّؤُاْ مِنَّا ، كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ، وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ** ﴾ [ البقرة : الآيات ١٦٦ ، ١٦٧ ] .

فهؤلاء المتبوعون كانوا على هدى ، وأتباعهم ادعوا أنهم كانوا على طريقتهم ومنهاجهم ، وهم مخالفون لهم سالكون غير طريقتهم ، يزعمون أنهم يحبونهم ، وأن محبتهم لهم تنفعهم مع مخالفتهم ، فيتبرءون منهم يوم القيامة ، فإنهم اتخذوهم أولياء من دون الله وظنوا أن هذا الاتخاذ ينفعهم .

● وهذه حال كل من اتخذ من دون الله ورسوله وليجة وأولياء ، يوالى لهم ويعادى لهم ، ويرضى لهم ويغضب لهم ، فإن أعماله كلها باطلة ، يراها يوم القيامة حسرات عليه مع كثرتها وشدة تعبه فيها ونصبه ، إذ لم يجرد موالاته ومعاداته ، ومحبته وبغضه ، وانتصاره وإيثاره لله ورسوله ، فأبطل الله عز وجل ذلك العمل كله وقطع تلك الأسباب . فينقطع يوم القيامة كل وصلة ووسيلة ومودة ، وموالاة كانت لغير الله تعالى ، ولا يبقى إلا السبب الواصل بين العبد وربه ؛ وهو حظه من الهجرة إليه وإلى رسوله ، وتجريد عبادته له وحده

ولوازمها من الحب والبغض ، والعطاء والمنع ، والموالاة والمعاداة والتقريب والإبعاد ، وتجريده متابعة رسوله وترك أقوال غيره ، وترك ما خالف ما جاء به ، والإعراض عنه وعدم الاعتناء به ، وتجريد متابعته تجريداً محضاً بريئاً من شوائب الالتفات إلى غيره ، فضلا عن الشركة بينه وبين غيره ، فضلا عن تقديم قول غيره عليه .

● فهذا هو السبب الذى لا ينقطع بصاحبه ، وهذه هى النسبة التى بين العبد وبين ربه ، وهى نسبة العبودية المحضة ، وهى آخيته التى يحول ما يحول ، ثم إليها مرجعه .

نَقِّل فُؤَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَىٰ ... مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
كَم مَنْزِلٍ فِي الأَرْضِ يَأْلَفُهُ الْفَتَىٰ ... وَحَنِينُهُ أَبَداً لأَوَّلِ مَنْزِلِ

وهذه هى النسبة التى تنفع العبد ، فلا ينفعه غيرها فى الدور الثلاثة : أعنى دار الدنيا ، ودار البرزخ ، ودار القرار ، فلا قوام له ، ولا عيش ولا نعيم ، ولا فلاح إلا بهذه النسبة . وهى السبب الواصل بين العبد وبين الله ، ولقد أحسن القائل :

إِذَا تَقَطَّعَ حَبْلُ الْوَصْلِ بَيْنَهُمُ ... فَلِلْمُحِبِّينَ حَبْلٌ غَيْرُ مُنْقَطِعِ
وَإِنْ تَصَدَّعَ شَمْلُ الْقَوْمِ بَيْنَهُمُ ... فَلِلْمُحِبِّينَ شَمْلٌ غَيْرُ مُنْصَدِعِ

● والمقصود أن الله سبحانه يقطع يوم القيامة الأسباب والعلق والوصلات التى كانت بين الخلق فى الدنيا كلها ، ولا يبقى إلا السبب والوصلة بين العبد وبين الله فقط ، وهو سبب العبودية المحضة التى لا وجود لها ولا تحقيق بتجريد متابعة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، إذ هذه العبودية إنما جاءت على ألسنتهم ، وما عرفت إلا

بهم ، ولا سبيل إليها إلا بمتابعتهم . وقد قال تعالى : ﴿ **وَقَدِمْنَا إِلَى مَاعَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً منثُوراً** ﴾ [ الفرقان : آية ٢٣ ] .

● فهذه هى أعماله التى كانت فى الدنيا على غير سنة رسله وطريقتهم ، ولغير وجهه ، يجعلها الله هباءاً منثوراً . ولا ينتفع منها صاحبها بشىء أصلا ؛ وهذا من أعظم الحسرات على العبد يوم القيامة ، أن يرى سعيه كله ضائعا لم ينتفع منه بشىء ، وهو أحوج ما كان العامل إلى عمله ، وقد سعد أهل السعى النافع بسعيهم .

* * * *

## فصل
## الأتباع السعداء

فهذا حكم أتباع الأشقياء ، فأما أتباع السعداء فنوعان :

أتباع لهم حكم الاستقلال وهم الذين قال الله عز وجل فيهم : **﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ والَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ الله عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾** [ التوبة : آية ١٠٠ ] .

فهؤلاء هم السعداء الذين ثبت لهم رضا الله عنهم ، وهم أصحاب رسول الله ﷺ وكل من تبعهم بإحسان إلى يوم القيامة . ولا يختص ذلك بالقرن الذين رأوهم فقط ، وإنما خص التابعين بمن رأوا الصحابة تخصيصاً عرفيا ليتميزوا به عمن بعدهم فقيل : التابعون مطلقاً لذلك القرن فقط ، وإلا فكل من سلك سبيلهم فهو من التابعين بإحسان ، وهو ممن رضى الله عنهم ورضوا عنه .

***الإحسان فى التبعية :***

● وقيد سبحانه هذه التبعية بأنها تبعية بإحسان ليست مطلقة فتحصل بمجرد النية والاتباع فى شيء والمخالفة فى غيره ، ولكن تبعية مصاحبة الإحسان .

وأن الباء هاهنا للمصاحبة .

والإحسان والمتابعة شرط فى حصول رضاء الله عنهم وجناته .

وقد قال تعالى : **﴿ هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ ، وإِن كَانُوا مِن قَبْلُ**

لِفِى ضَلاَلٍ مُّبِينٍ * وَآخرينَ منهُمْ لَمَّا يَلْحقُوا بِهِمْ وَهُوَ العَزِيزُ الْحَكِيمُ * ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يِشَاءُ واللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [ الجمعة : الآيات ٢ : ٤ ] .

● فالأولون : هم الذين أدركوا رسول الله ﷺ وصحبوه .

والآخرون : هم الذين لم يلحقوهم ، وهم كل من بعدهم على مناهجهم إلى يوم القيامة ، فيكون التأخر وعدم اللحاق فى الفضل والرتبة ، بل هم دونهم فيكون عدم اللحاق فى الرتبة ، والقولان كالمتلازمين ، فإن من بعدهم لا يلحقون بهم لا فى الفضل ولا فى الزمان ، فهؤلاء الصنفان هم السعداء .

وأما من لم يقبل هدى الله الذى بعث به رسوله ولم يرفع به رأساً فهو من الصنف الثالث وهم : ﴿ **الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً** ﴾ [ الجمعة : آية ١٥ ] .

### *أقسام الخلائق بالنسبة لقبول دعوته ﷺ*

● وقد ذكر النبى ﷺ أقسام الخلائق بالنسبة إلى دعوته وما بعث به من الهدى فى قوله ﷺ « **مَثَلُ مَابَعَثَنى اللهُ به مِنَ الهُدَى والْعِلمِ : كَمثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضاً فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الكَلأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ . وَكَانَتْ مِنهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَسُقى النَّاسُ وَزَرَعُوا ، وَأَصَابَ طَائِفَةً أُخْرَى إنَّماَ هِىَ قِيعَانٌ لاَ تُمسِكُ مَاءً وَلاَ تُنبِتُ كَلأً . فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِى الدِينِ فَنَفَعَهُ مَا بعَثَنَى اللهُ بِهِ ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْساً وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الذِى أُرْسِلتُ بِهِ** » [1] .

---

(١) أخرجه البخارى : كتاب العلم (٧٩) : باب فضل من عَلِمَ وعلَّم . ومسلم : كتاب الفضائل =

● فشبَّه ﷺ العلم الذى جاء به بالغيث لأن كلا منهما سبب الحياة ، فالغيث سبب حياة الأبدان ، والعلم سبب حياة القلوب .

وشبه القلوب بالأودية كما فى قوله تعالى : ﴿ **أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءاً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا** ﴾ [ الرعد : آية ١٧ ] .

وكما أن الأرضين ثلاثة بالنسبة إلى قبول الغيث .

إحداها : أرض زكية قابلة للشراب والنبات ، فإذا أصابها الغيث ارتوت ، ومنه يثمر النبت من كل زوج بهيج .

فذلك مثل القلب الزكى الذكى ، فهو يقبل العلم بذكائه ، فيثمر فيه وجوه الحكم ودين الحق بذكائه ، فهو قابل للعلم ، مثمر لموجبه وفقهه وأسرار معادنه .

والثانية : أرض صلبة قابلة لثبوت ما فيها وحفظه ، فهذه تنفع الناس لورودها والسقى منها والازدراع .

وهو مثل القلب الحافظ للعلم الذى يحفظه كما سمعه ، فلا تصرف فيه ، ولا استنبط ، بل للحفظ المجرد فهو يؤدى كما سمع ، وهو من القسم الذى قال النبى ﷺ : « **فَرُبَّ حَامِلِ فِقْه إِلَى مَنْ هُوَ**

---

= (٢٢٨٢) (١٥) : باب بيان مثل ما بعث النبى ﷺ من الهدى والعلم . من حديث أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه . * غريب الحديث : الكلأ والعشب : العشب والكلأ والحشيش كلها أسماء للنبات لكن الحشيش مختص باليابس والعشب والكلا مقصوراً ، مختصان بالرطب ، والكلأ بالهمز يقع على اليابس والرطب . أجادب : بالجيم والدال المهملة بعدها موحدة جمع جدب بفتح الدال المهملة وهى الأرض الصلبة التى لا ينضب منها الماء ، وهى الأرض التى لا تنبت كلأ . قيعان : جمع قاع وهى الأرض المستوية الملساء التى لا تنبت . وراجع شرح الحديث وما فيه من الفوائد فى مفتاح دار السعادة (١ / ٦٠ : ٦٢) والوابل الصيب (٥٤ : ٦٠) . وكذا فتح البارى لابن حجر (١ / ١٧٦ ، ١٧٧) .

أَفْقَهُ ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرُ فَقِيهٍ » [1] .

فالأول : كمثل الغنى التاجر الخبير بوجوه المكاسب والتجارات فهو يكسب بماله ما شاء .

والثانى : مثل الغنى الذى لاخبرة له بوجوه الربح والمكسب ، ولكنه حافظ لما لا يحسن التصرف والتقلب فيه .

والأرض الثالثة : أرض قاع ، وهو المستوى الذى لا يقبل النبات ، ولا يمسك ماء ، فلو أصابها من المطر ما أصابها لم تنتفع منه بشىء .

فهذا مثل القلب الذى لا يقبل العلم والفقه والدراية ، وإنما هو بمنزلة الأرض البوار التى لا تنبت ولا تحفظ ، وهو مثل الفقير الذى

---

(١) جزء من حديث صحيح ورد عن جمع من الصحابة : ــ ● منهم زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « نضر الله امرأ سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره فإنه رب حامل فقه ليس بفقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ... » الحديث . أخرجه أبو داود : كتاب العلم (٣٦٦٠) : باب نشر العلم . والترمذى : كتاب العلم (٢٦٥٨) : باب ما جاء فى الحث على تبليغ العلم وابن ماجه فى المقدمة (٢٣٠) : باب من بلغ علماً . وأحمد (٥ / ١٨٣) والدارمى (١ / ٧٥) وابن حبان فى صحيحه (٦٧ ــ الإحسان) وابن عبد البر فى الجامع (١ / ٣٨ ــ ٣٩) والرامهرمزى فى المحدث الفاصل رقم (٣ ، ٤) . وصححه الألبانى فى الصحيحه ( ٤٠٤ ) وصححه الأرناؤوط في تخريج ابن حبان (١ / ٢٣٧) . ● ومنهم أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « نضر الله عبداً سمع مقالتى فوعاها ، ثم بلغها عنى ، فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه » . أخرجه أحمد (٣ / ٢٢٥) . وابن ماجه : فى المقدمة (٢٣٦) : باب من بلغ علماً وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (١ / ٤١) وصحيح الجامع (٦٦٤١) . ● ومنهم جبير بن مطعم قال : قام رسول الله ﷺ بالخيف من منى قال : « نضر الله امرأ سمع مقالتى فبلغها ، فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه » . أخرجه أحمد (٤ / ٨٠ ، ٨٢) . وابن ماجه : فى المقدمة (٢٣١) : باب من بلغ علماً . والدارمى (١ / ٧٤) . والحاكم (١ / ٨٧) . وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٦٤٢) . وصحيح الترغيب (١ / ٤١) . ● قال الخطابى : وفى قوله : « رب حامل فقه إلى من هو أفقه » دليل على كراهة اختصار الحديث لمن ليس بالمتناهى فى الفقه ، لأنه إذا فعل ذلك ، فقد قطع طريق الاستنباط والإستدلال لمعانى الكلام من طريق التفهم ، وفى ضمنه وجوب الثقه والحث على استنباط معانى الحديث واستخراج المكنون من سره » معالم السنن (٥ / ٢٥٣) .

لا مال له ، ولا يحسن أن يمسك مالا .

فالأول : عالم معلم ، وداع إلى الله على بصيرة ، فهذا من ورثة الرسل .

والثانى : حافظ مؤد لما سمعه ، فهذا يحمل لغيره ما يتجر به المحمول إليه ويستثمر .

والثالث : لا هذا ولا هذا ، فهو الذى لم يقبل هدى الله ، ولم يرفع به رأساً .

فاستوعب هذا الحديث أقسام الخلق فى الدعوة النبوية ومنازلهم منها قسمان : قسم سعيد ، وقسم شقى .

* * * *

# فصل

## أطفال المؤمنين يلحقون بآبائهم فى الجنة

● وأما النوع الثانى من الأتباع : فهم أتباع المؤمنين من ذريتهم الذين لم يثبت لهم حكم التكليف فى دار الدنيا ، وإنما هم مع آبائهم تبع لهم .

وقال الله تعالى فيهم ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِيتهُمْ بإيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِن عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ امْرِىءٍ بِمَا كَسَبَ رهين** ﴾ [ الطور : آية ٢١ ] .

● أخبر سبحانه أنه ألحق الذرية بآبائِهم فى الجنة ، كما أتبعهم إياهم فى الإيمان .

ولما كان الذرية لا عمل لهم يستحقون به تلك الدرجات قال تعالى : ﴿ **وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِن عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ** ﴾ [ الطور : آية ٢١ ] .

والضمير عائد إلى الذين آمنوا .

أى وما نقصناهم من عملهم بل رفعنا ذريتهم إلى درجتهم مع توفيتهم أجور أعمالهم ؛ فليست منزلتهم منزلة من لم يكن له عمل ، بل وفيناهم أجورهم ، فألحقنا بهم ذريتهم فوق ما يستحقون من أعمالهم .

● ثم لما كان هذا الإلحاق فى الثواب والدرجات فضلا من الله ، فربما وقع فى الوهم أن إلحاق الذرية أيضاً حاصل لهم فى حكم العدل ، فلما اكتسبوا سيئات أوجبت عقوبة ، كان كل عامل رهيناً

بكسبه لا يتعلق بغيره شيء . فالإلحاق المذكور إنما هو فى الفضل والثواب لا فى العدل والعقاب ، وهذا نوع من أسرار القرآن وكنوزه ، التى يختص الله بفهمها من شاء .

● فقد تضمنت هذه الآية أقسام الخلائق كلهم : أشقيائِهم وسعدائهم .

السعداء المتبوعين والأتباع .

والأشقياء المتبوعين والأتباع .

فعلى العاقل الناصح لنفسه أن ينظر فى أى الأقسام هو ، ولا يغتر بالعادة ويخلد إلى البطالة ، فإن كان من قسم سعيد انتقل إلى ما هو فوقه وبذل جهده ، والله ولى التوفيق والنجاح . وإن كان من قسم شقى انتقل منه إلى القسم السعيد فى زمن الإمكان قبل أن يقول : ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا .

* * * *

## فصل

## كيف يكون سفر الهجرة إلى الله والرسول ؟

والمقصود بهذا أن من أعظم التعاون على البر والتقوى والتعاون على سفر الهجرة إلى الله والرسول باليد واللسان والقلب والمساعدة والنصيحة تعليما وإرشاداً ومودة .

ومن كان هكذا مع عباد الله فكل خير إليه أسرع ، وأقبل الله إليه بقلوب عباده ، وفتح على قلبه أبواب العلم ، ويسره لليسرى .

ومن كان بالضد فبالضد .

### *زاد المسافر*

● فإن قلت : قد أشرت إلى سفر عظيم وأمر جسيم ، فما زاد هذا السفر وما طريقه وما مركبه ؟

قلت : **زاده العلم** الموروث من خاتم الأنبياء ﷺ ولا زاد له سواه ، فمن لم يحصل هذا الزاد فلا يخرج من بيته وليقعد مع الخالفين .

فرفقاء المتخلف البطالون أكثر من أن يحصوا ، فله أسوة بهم ، ولن ينفعه هذا التأسى يوم الحسرة شيئاً ، كما قال تعالى : ﴿ **وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ** ﴾ [ الزخرف : آية ٣٩ ] فقطع الله سبحانه انتفاعهم بتأسى بعضهم ببعض فى العذاب ، فإن مصائب الدنيا إذا عمَّت صارت مسلاة ، وتأسى بعض

المصابين ببعض ، كما قالت الخنساء : [1]

وَلَوْلاَ كَثْرَةُ البَاكِينَ حَوْلِــي ... عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَـفْسِي

وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ [2] ... أُسَلِّي النَّفْسَ عنهم بالتَّـأَسِّي

فهذا الروح الحاصل من التأسى معدوم بين المشتركين فى العذاب يوم القيامة .

## طريق السفر

● وأما **طريقه** : فهو بذل الجهد واستفراغ الوسع ، فلا ينال بالمنى ، ولن يدرك بالهوينا ، وإنما هو كما قيل :

فَخُضْ غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَاسْمُ إِلَى الْعُلاَ ... لِكَيْ تُدْرِكَ الْعِزَّ الرَّفِيعَ الدَّائِـمِ

فَلا خَيْرَ فِي نَفْسٍ تَخَافُ مِنَ الرَّدىٰ ... وَلاَ هِمَّةٍ تَصْبُو إِلَى لَوْمِ لاَئِـمِ

ولا سبيل إلى ركوب هذا الظهر إلا بأمرين :

أحدهما : أن لا يصبو فى الحق إلى لوم لائم ، فإن اللوم يصيب الفارس فيصرعه عن فرسه ، ويجعله صريعاً فى الأرض .

---

(١) هى تماضر بنت عمرو بن الحرث بن الشريد والخنساء لقب عليها . لقبت به تشبيهاً لها بالبقرة الوحشية فى جمال عينيها ، قتل أخوها صخر ومعاوية فحزنت ــ عليهما خاصة على صخر ــ فرثته بشعر كثير . وهى من شواعر العرب المعترف لهم بالتقدم ؛ أجمع الشعراء ورواة الشعر القدماء على أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها فى الرثاء .
أسلمت مع قومها من بنى سُليم وانبعثت مع المسلمين لفتح بلاد فارس فقتل أولادها الأربعة فى وقعة القادسية ١٦ هـ (٦٣٨م) فقالت لما بلغها خبر مقتلهم : « الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر الرحمة » . راجع ترجمتها فى : الإصابة (١٢ / ٢٢٥) . والأبيات فى الديوان ص (٨٤ ، ٨٥) .

(٢) فى الديوان ص (٨٥) : (أُعَزِّي) وكذا فى الداء والدواء ص (١٢٩) لابن القيم .

والثانى : أن تهون عليه نفسه فى الله ؛ فيقدم حينئذ ولا يخاف الأهوال ، فمتى خافت النفس تأخرت وأحجمت وأخلدت إلى الأرض ، ولايتم له هذان الأمران إلا بالصبر ، فمن صبر قليلا صارت تلك الأهوال ريحاً رخاء فى حقه تحمله بنفسها إلى مطلوبه ، فبينما هو يخاف منها ، إذ صارت أعظم أعوانه وخدمه ، وهذا أمر لا يعرفه إلا من دخل فيه .

**مركب المسافر :**

● وأما **مركبه** فصدق اللجأ إلى الله والانقطاع إليه بكليته ، وتحقيق الافتقار إليه بكل وجه ، والضراعة إليه وصدق التوكل والاستعانة به ، والانطراح بين يديه انطراح المسلوم المكسور الفارغ الذى لا شيء عنده ، فهو يتطلع إلى قيمه ووليه أن يجدّه ويلم شعثه ، ويمده من فضله ويستره ، فهذا الذى يرجى له أن يتولى الله هدايته ، وأن يكشف له ما خفى على غيره من طريق هذه الهجرة ومنازلها .

* * * *

فصل

# التدبر والتفكر فى آلاء الله

● ورأس الأمر وعموده فى ذلك ، إنما هو دوام التفكر وتدبر آيات الله ، حيث تستولى على الفكر وتشغل القلب . فإذا صارت معانى القرآن مكان الخواطر من قلبه وجلس على كرسيه ، وصار له التصرف ، وصار هو الأمير المطاع أمره ، فحينئذ يستقيم له سيره ، ويتضح له الطريق ، وتراه ساكناً وهو يبارى الريح ﴿ **وَتَرى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمرُّ مَرَّ السَّحَابِ ، صُنْعَ اللهِ الَّذِى أَتْقَنَ كُلَّ شَىءٍ إنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ** ﴾ [ النمل : آية ٨٨ ] .

* * *

# فصل

## أفلا يتدبرون القرآن؟

● فإن قلت : إنك قد أشرت إلى مقام عظيم فافتح لى بابه ، واكشف لى حجابه ، وكيف تدبر القرآن وتفهمه والإشراف على عجائبه وكنوزه ؟ وهذه تفاسير الأئمة بأيدينا فهل فى البيان غير ما ذكروه ؟

قلت : سأضرب لك أمثالا تحتذى عليها وتجعلها إماماً لك فى هذا المقصد .

قال الله تعالى ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ إلى قوله ﴿ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ [ الذاريات : الآيات ٢٤ : ٣٠ ] .

فعهدى بك إذا قرأت هذه الآية وتطلعت إلى معناها وتدبرتها . فإنما تطلع منها على أن الملائكة أتوا إبراهيم فى صورة الأضياف يأكلون ويشربون وبشروه بغلام عليم ، وإنما امرأته عجبت من ذلك ، فأخبرتها الملائكة أن الله قال ذلك ــ ولم يتجاوز تدبرك غير ذلك .

● فاسمع الآن بعض ما فى هذه الآيات من أنواع الأسرار .

وكم قد تضمنت من الثناء على إبراهيم ؟

وكيف جمعت الضيافة وحقوقها ؟

وما تضمنت من الرد على أهل الباطل من الفلاسفة والمعطلة ؟

وكيف تضمنت علماً عظيما من أعلام النبوة ؟

وكيف تضمنت جميع صفات الكمال ، التى ردها إلى العلم والحكمة ؟

وكيف أشارت إلى دليل إمكان المعاد بألطف إشارة وأوضحها ، ثم أفصحت وقوعه ؟

وكيف تضمنت الإخبار عن عدل الرب وانتقامه من الأمم المكذبة ؟

وتضمنت ذكر الإسلام والإيمان والفرق بينهما .

وتضمنت بقاء آيات الرب الدالة على توحيده وصدق رسله ، وعلى اليوم الآخر .

وتضمنت أنه لا ينتفع بهذا كله إلا من فى قلبه خوف من عذاب الآخرة ، وهم المؤمنون بها .

وأما من لا يخاف الآخرة ولا يؤمن بها ، فلا ينتفع بتلك الآيات .

● فاسمع الآن بعض تفاصيل هذه الجملة :

قال الله تعالى ﴿ **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ** ﴾ [ الذاريات : آية ٢٤ ] .

افتتح سبحانه القصة بصيغة موضوعة للاستفهام ، وليس المراد بها حقيقة الاستفهام ، ولهذا قال بعض الناس : إن ( هل ) فى مثل

هذا الموضع بمعنى ( قد ) التى تقتضى التحقيق . ولكن فى ورود الكلام فى مثل هذا بصيغة الاستفهام سر لطيف ، ومعنى بديع ، فإن المتكلم إذا أراد أن يخبر المخاطب بأمر عجيب ينبغى الاعتناء به ، وإحضار الذهن له ، صدر له الكلام بأداة الاستفهام ، لتنبيه سمعه وذهنه للمخبر به ، فتارة يصدره بألا ، وتارة يصدره بهل ، فقول : هل علمت ما كان من كيت وكيت ؟ إما مذكراً به ، وإما واعظاً له مخوفاً ، وإما منبهاً على عظمة ما يخبر به ، وإما مقرراً له .

فقوله تعالى ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴾ [ طه : آية ٩ ] و ﴿ هَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ ﴾ [ صٓ : آية ٢١ ] و ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ [ الغاشية : آية ١ ] و ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ [ الذاريات : آية ٢٤ ] متضمن لتعظيم هذه القصص والتنبيه على تدبرها ومعرفة ما تضمنته .

ففيه أمر آخر .

وهو التنبيه على أن إتيان هذا إليك علم من أعلام النبوة ، فإنه من الغيب الذى لا تعلمه أنت ولا قومك . فهل أتاك من غير إعلامنا وإرسالنا وتعريفنا ؟ أم لم يأتك إلا من قبلنا ؟

فانظر ظهور هذا الكلام بصيغة الاستفهام ، وتأمل عظم موقعه من جميع موارده يشهد أنه من الفصاحة فى ذروتها العليا .

وقوله ﴿ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ [ الذاريات : آية ٢٤ ] متضمن لثنائه على خليله إبراهيم .

فإن فى ﴿ الْمُكْرَمِينَ ﴾ قولين .

أحدهما : إكرام إبراهيم لهم ، ففيه مدح إبراهيم بإكرام الضيف .

والثانى : أنهم مكرمون عند الله كقوله تعالى : ﴿ **بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ** ﴾ [ الأنبياء : آية ٢٦ ] وهو متضمن أيضاً لتعظيم خليله ومدحه ؛ إذ جعل ملائكته المكرمين أضيافاً له ، فعلى كلا التقديرين فيه مدح لإبراهيم .

وقوله ﴿ **فَقَالُوا سَلامَاً قَالَ سَلامٌ** ﴾ [ الذاريات : آية ٢٥ ] متضمن بمدح آخر لإبراهيم حيث رد عليهم السلام أحسن مما حيوه به ، فإن تحيتهم باسم منصوب متضمن لجملة فعلية ، تقديره : سلمنا عليك سلاماً . وتحية إبراهيم لهم باسم مرفوع متضمن لجملة اسمية ، تقديره : سلام دائم أو ثابت أو مستقر عليكم ، ولا ريب أن الجملة الاسمية تقتضى الثبوت واللزوم ، والفعلية تقتضى التجدد والحدوث ، فكانت تحية إبراهيم أكمل وأحسن .

ثم قال ﴿ **قَوْمٌ مُّنكَرُونَ** ﴾ [ الذاريات : آية ٢٥ ] وفى هذا من حسن مخاطبة الضيف والتذمم منه وجهان فى المدح .

أحدهما : أنه حذف المبتدأ . والتقدير : أنتم قوم منكرون ، فتذمم منهم ولم يواجههم بهذا الخطاب لما فيه من بعض الاستيحاش .

وكان النبى ﷺ لا يواجه أحداً بما يكرهه بل يقول « **مَا بَالُ أَقْوامٍ يَقُولُونَ كَذَا وَيَفْعَلُونَ كَذَا** » .

( والثانى ) قوله ﴿ **قَوْمٌ مُّنكَرُونَ** ﴾ فحذف فاعل الإنكار وهو الذى كان أنكرهم ، كما قال فى موضع آخر ﴿ **نَكِرَهُم** ﴾ [ هود : آية ٧٠ ] ولا ريب أن قوله ﴿ **مُنكَرُونَ** ﴾ ألطف من أن يقول أنكرتم .

*آداب الضيافة وإكرام الضيف:*

وقوله ﴿ **فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بعجْلٍ سَمِينٍ . فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلاَ تَأْكُلُونَ** ﴾ [ الذاريات : الآيتان ٢٦ ، ٢٧ ] متضمن وجوهاً من المدح وآداب الضيافة وإكرام الضيف .

منها قوله ﴿ **فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ** ﴾ والروغان الذهاب بسرعة واختفاء ، وهو يتضمن المبادرة إلى إكرام الضيف ، والاختفاء يتضمن ترك تخجيله وألا يعرض للحياء ، وهذا بخلاف من يتثاقل ويتبارد على ضيفه ثم يبرز بمرأى منه ويحل صرة النفقة ويزن ما يأخذ ؛ ويتناول الإناء بمرأى منه ونحو ذلك ، مما يتضمن تخجيل الضيف وحياءه ، فلفظة ﴿ **رَاغَ** ﴾ تنفى هذين الأمرين . وفى قوله تعالى ﴿ **إِلَى أَهْلِهِ** ﴾ مدح آخر لما فيه من الإشعار أن كرامة الضيف معدة حاصلة عند أهله ، وأنه لا يحتاج أن يستقرض من جيرانه ، ولا يذهب إلى غير أهله ، إذ قرى الضيف حاصل عندهم .

وقوله ﴿ **فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ** ﴾ [ الذاريات : آية ٢٦ ] يتضمن ثلاثة أنواع من المدح .

أحدها : خدمة ضيفه بنفسه ، فإنه لم يرسل به ، وإنما جاء به بنفسه .

الثانى : أنه جاءهم بحيوان تام لم يأتهم ببعضه ، ليتخيروا من أطيب لحمه ما شاءوا .

الثالث : أنه سمين ليس بمهزول ، وهذا من نفائس الأموال ، ولد البقر السمين فإنهم يعجبون به ، فمن كرمه هان عليه ذبحه وإحضاره .

وقوله ﴿ إِلَيْهِمْ ﴾ متضمن المدح وآداباً أخرى وهو إحضار الطعام إلى بين يدى الضيف ، بخلاف من يهيىء الطعام فى موضع ثم يقيم ضيفه فيورده عليه .

وقوله ﴿ أَلا تَأْكُلُونَ ﴾ فيه مدح وآداب أخر؛ فانه عرض عليهم الأكل بقوله ﴿ أَلا تَأْكُلُونَ ﴾ وهذه صيغة عرض مؤذنة بالتلطف ، بخلاف من يقول : ضعوا أيديكم فى الطعام ، كلوا ، تقدموا ، ونحو هذا .

وقوله ﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾ لأنه لما رآهم لا يأكلون من طعامه أضمر منهم خوفاً أن يكون معهم شر ، فإن الضيف إذا أكل من طعام رب المنزل اطمأن إليه وأنس به ، فلما علموا منه ذلك ﴿ قَالُوا لاَ تَخَفْ وَبَشروهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ ﴾ [ الذرايات : آية ٢٨ ] وهذا الغلام إسحق لا إسماعيل ، لأن امرأته عجبت من ذلك فقالت : عجوز عقيم لا يولد لمثلى ، فأنَّى لى بالولد ؟ وأما إسماعيل فإنه من سريته هاجر وكان بكره وأول ولده . وقد بيَّن سبحانه هذا فى سورة هود فى قوله تعالى ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ ﴾ [ هود : آية ٧١ ] وهذه هى القصة نفسها .

وقوله تعالى ﴿ فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرةٍ فَصَكتْ وَجْهَهَا ﴾ [ الذاريات : آية ٢٩ ] فيه بيان ضعف عقل المرأة وعدم ثباتها ، إذ

بادرت إلى الندبة فصكت الوجه عند هذا الإخبار .

وقوله ﴿ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ [ الذاريات : آية ٢٩ ] فيه حسن أدب المرأة عند خطاب الرجال واقتصارها من الكلام على ما يتأدى به الحاجة ، فإنها حذفت المبتدأ ولم تقل أنا عجوز عقيم ، واقتصرت على ذكر السبب الدال على عدم الولادة لم تذكر غيره ، وأما فى سورة هود ، فذكرت السبب المانع منها ومن إبراهيم وصرحت بالعجب .

وقوله تعالى ﴿ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ﴾ متضمن لإثبات صفة القول له .

### *إثبات صفة الحكمة والعلم لله عز وجل :*

وقوله ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ متضمن لإثبات صفة الحكمة والعلم اللذين هما مصدر الخلق والأمر ، فجميع ما خلقه سبحانه صادر عن علمه وحكمته ، وكذلك أمره وشرعه مصدره عن علمه وحكمته .

والعلم والحكمة متضمنان لجميع صفات الكمال ، فالعلم يتضمن الحياة ولوازم كمالها من القيومية والقدرة والبقاء والسمع والبصر ، وسائر الصفات التى يستلزمها العلم التام .

والحكمة تتضمن كمال الإرادة والعدل والرحمة والإحسان والجود والبر ، ووضع الأشياء فى مواضعها على أحسن وجوهها ، ويتضمن إرسال وإثبات الثواب والعقاب .

كل هذا العلم من اسمه الحكيم كما هى طريقة القرآن فى الاستدلال على هذه المطالب العظيمة بصفة الحكمة : والإنكار على

من يزعم أنه خلق الخلق عبثاً وسدى وباطلا ، فحينئذ صفة حكمته تتضمن الشرع والقدر والثواب والعقاب ، ولهذا كان أصح القولين أن المعاد يعلم بالعقل ، وأن السمع ورد بتفصيل ما يدل العقل على إثباته .

ومن تأمل طريقة القرآن وجدها دالة على ذلك ، وأنه سبحانه يضرب لهم الأمثال المعقولة التى تدل على إمكان المعاد تارة ووقوعه أخرى ، فيذكر أدلة القدرة الدالة على إمكان المعاد وأدلة الحكمة المستلزمة لوقوعه .

ومن تأمل أدلة المعاد فى القرآن وجدها كذلك مغنية بحمد الله عن غيرها ، كافية شافية موصلة إلى المطلوب بسرعة ، متضمنة للجواب عن الشبه العارضة لكثير من الناس .

وإن ساعد التوفيق كتبت فى ذلك سفراً كبيراً ، لما رأيت فى الأدلة التى أرشد إليها القرآن من الشفاء والهدى وسرعة الإنصاف ، وحسن البيان ، والتنبيه على مواضع الشبه والجواب عنها بما ينثلج له الصدر ؛ ويكثر معه اليقين ، بخلاف غيره من الأدلة ، فإنها على العكس من ذلك . وليس هذه موضع التفصيل .

● والمقصود أن صدور الخلق والأمر عن علم الرب وحكمته . واختصت هذه القصة بذكر هذين الاسمين لاقتضائهما لتعجب النفوس من تولد مولود بين أبوين لا يولد لمثلهما عادة ، وخفاء العلم بسبب هذا الإيلاد ، وكون الحكمة اقتضت جريان هذه الولادة على غير العادة المعرفة . فذكر فى الآية اسم العلم والحكمة المتضمن لعلمه سبحانه بسبب هذا الخلق وغايته وحكمته فى وضعه موضعه من غير إخلال بموجب الحكمة .

● ثم ذكر سبحانه وتعالى قصة الملائكة فى إرسالهم لهلاك قوم لوط ، وإرسال الحجارة المسوَّمة عليهم ، وفى هذا ما يتضمن تصديق رسله وإهلاك المكذبين لهم ، والدلالة على المعاد والثواب والعقاب لوقوعه عياناً فى هذا العالم ، وهذا من أعظم الأدلة الدالة على صدق رسله لصحة ما أخبروا به عن ربهم .

## *الفرق بين الإسلام والإيمان :*

ثم قال تعالى ﴿ **فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ [ الذاريات الآيتان ٣٥ ، ٣٦ ] ففرق بين الإسلام والإيمان هنا لسر اقتضاه الكلام .

فإن الإخراج هنا عبارة عن النجاة ، فهو إخراج نجاة من العذاب ، ولا ريب أن هذا مختص بالمؤمنين المتبعين للرسل ظاهراً وباطناً .

وقوله تعالى ﴿ **فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ [ الذاريات : آية ٣٦ ] لما كان الموجودون من المخرجين أوقع اسم الإسلام عليهمَ لأن امرأة لوط كانت من أهل هذا البيت وهى مسلمة فى الظاهر ، فكانت فى البيت الموجودين لا فى القوم الناجين ، وقد أخبر سبحانه عن خيانة امرأة لوط ، وخيانتها أنها كانت تدل قومها على أضيافه وقلبها معهم ، وليست خيانة فاحشة ، فكانت من أهل البيت المسلمين ظاهراً ، وليست من المؤمنين الناجين .

ومن وضع دلالة القرآن وألفاظه مواضعها ، تبين له من أسراره وحكمه ما يبهر العقول ، ويعلم أنه تنزيل من حكيم حميد .

وبهذا خرج الجواب عن السؤال المشهور وهو : إن الإسلام أعم من الإيمان فكيف استثناء الأعم من الأخص ، وقاعدة الاستثناء تقتضى العكس ؟ وتبين أن المسلمين المستثنين مما وقع عليه فعل الوجود ، والمؤمنين غير مستثنين منه ، بل هم المخرجون الناجون .

*المؤمن بالآخرة هو الذى ينتفع بالآيات والمواعظ :*

وقوله تعالى ﴿ **وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ** ﴾ [ الذاريات : آية ٣٧ ] فيه دليل على أن آيات الله سبحانه وعجائبه التى فعلها فى هذا العالم وأبقى آثارها دالة عليه وعلى صدق رسله ، إنما ينتفع بها من يؤمن بالمعاد ، ويخشى عذاب الله تعالى .

كما قال الله تعالى فى موضع آخر ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ** ﴾ [ هود : آية ١٠٣ ] .

وقال تعالى : ﴿ **سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى** ﴾ [ الأعلى : آية ١٠ ] فإن من لا يؤمن بالآخرة غايته أن يقول : هؤلاء قوم أصابهم الدهر كما أصاب غيرهم ، ولا زال الدهر فيه الشقاوة والسعادة .

وأما من آمن بالآخرة وأشفق منها فهو الذى ينتفع بالآيات والمواعظ .

والمقصود بهذا إنما هو التنبيه والتمثيل على تفاوت الأفهام فى معرفة القرآن واستنباط أسراره وآثار كنوزه ويعتبر بهذا غيره ، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء .

* * *

## فصل

## الرفيق والطريق

● والمقصود أن القلب لما تحول لهذا السفر طلب رفيقاً يأنس به فى السفر ، فلا يجد إلا معارضاً مناقضاً ، أو لائماً بالتأنيب مصرحاً ، أو فارغاً من هذه الحركة معرضاً ، وليت كل ما ترى هكذا ، فلقد أحسن إليك من خلاك وطريقك ولم يطرح شره عليك ، كما قال القائل :

إِنَّا لَفِى زَمَنٍ تَرْكُ الْقَبِيحِ بِهِ      مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ إِحْسَانٌ وَإِجْمَالٌ

فإذا كان هذا المعروف من الناس . فالمطلوب فى هذا الزمان المعاونة على هذا السفر بالإعراض وترك اللائمة والاعتراض ، إلا ما عسى أن يقع نادراً فيكون غنيمة باردة لا قيمة لها .

ولا ينبغى أن لا يتوقف العبد فى سيره على هذه الغنيمة بل يسير ولو وحيداً غريباً ، فانفراد العبد فى طريق طلبه دليل على صدق المحبة .

***أهمية الرسالة التى بين يديك :***

● ومن نظر فى هذه الكلمات التى تضمنتها هذه الورقات ، علم أنها من أهم ما يحصل به التعاون على البر والتقوى ، وسفر الهجرة إلى الله ورسوله ، وهو الذى قصد سطرها بكتابتها وجعلها هديته المعجلة السابقة إلى أصحابه ورفقائه فى طلب العلم .

وشهد الله وكفى بالله شهيداً ، ولو توافى أحداً منهم لقابلها بالقبول ولبادر إلى تفهمها وعدها من أفضل ما أهدى صاحب الى صاحبه ، فإن غير هذا من جريانات الركب الخيرية ، وإن تطلعت النفوس إليها ففائدتها قليلة وهى فى غاية الرخص لكثرة جالبها ، وإنما الهدية النافعة كلمة يهديها الرجل إلى أخيه المسلم .

### *نصائح للمهاجر إلى الله* :

● ومن أراد السفر فعليه بمرافقة الأموات الذين هم فى العالم أحياء ، فإنه يبلغ بمرافقتهم إلى مقصده ، وليحذر من مرافقة الأحياء الذين هم فى الناس أموات ، فإنهم يقطعون عليه طريقه ، فليس لهذا السالك أنفع من تلك المرافقة ، وأوفق له من هذه المفارقة ، فقد قال بعض السلف : « **شَتَانَ بَيْنَ أَقْوَامٍ مَوْتَى تَحْيَا الْقُلُوبُ بِذِكْرِهِمْ ، وَبيْنَ أَقْوَامٍ أَحْيَاءٍ تَمُوتُ الْقُلُوبُ بِمُخَالَطَتِهِمْ** » .

فما على العبد أضر من عشائره وأبناء جنسه ، فنظره قاصر وهمته واقفة عند التشبه بهم ، ومباهاتهم والسلوك أين سلكوا ، حتى لو دخلوا جحرضب لأحبَّ أن يدخله معهم .

● فمتى صرف همته عن صحبتهم إلى صحبة من أشباحهم مفقودة ، ومحاسنهم وآثارهم الجميلة فى العالم موجودة ، استحدث بذلك همة أخرى وعملا آخر ، وصار بين الناس غريباً ، وإن كان فيهم مشهوراً ونسيباً ، ولكنه غريب محبوب يرى ما الناس فيه ولا يرون ما هو فيه ؛ يقيم لهم المعاذير ما استطاع ، ويحضهم بجهده وطاقته ، سائراً فيهم بعينين : عين ناظرة إلى الأمر والنهى . بها يأمرهم وينهاهم ويواليهم ويعاديهم ، ويؤدى لهم الحقوق ويستوفيها عليهم . وعين

ناظرة إلى القضاء والقــدر ، بها يرحمهم ويدعو لهم ويستغفر لهم ، ويلتمس وجوه المعاذير فيما لا يخل بأمر ولا يعود بنقض شرع ، وقد وسعهم بسلطته ورحمته ولينه ومعذرته ، وقفاً عند قوله تعالى : ﴿ **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** ﴾ [ الأعراف : آية ١٩٩ ] تدبراً لما تضمنته هذه الآية من حسن المعاشرة مع الخلق وأداء حق الله فيهم والسلامة من شرهم . فلو أخذ الناس كلهم بهذه الآية لكفتهم وشفتهم فإن العفو ما عفى من أخلاقهم وسمحت به طبائعهم ، ووسعهم بذله من أموالهم وأخلاقهم .

● فهذا مامنهم إليه ، وأما ما يكون منه إليهم فأمرهم بالمعروف ، وهو مــا تشـهد به العقول وتعرف حسنه ، وهو ما أمر الله به . وأما ما يتقى به أذى جاهلهم ، فالإعراض عنه وترك الانتقام لنفسه والانتصار لها .

فأى كمال للعبد وراء هذا ؟ وأى معاشرة وسياسة لهذا العالم أحسن من هذه المعاشرة والسياسة ؟ فلو فكر الرجل فى كل شر يلحقه من العالم . أعنى الشر الحقيقى الذى لا يوجب له الرفعة والزلفى من الله ــ وجد سببه الإخلال بهذه الثلاث أو بعضها ، وإلا فمع القيام بها ، فكل ما يحصل له من الناس فهو خير له وإن شراً فى الظاهر ، فإنه يتولد من الأمر بالمعروف ولا يتولد منه إلا خيراً ، وإن ورد فى حالة شر وأذى .

كما قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ** ﴾ [ النور : آية ١١ ] .

وقال تعالى لنبيه ﷺ ﴿ **فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ، فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ** ﴾ [ آل عمران : آية ١٥٩ ] ، وقد تضمنت هذه الكلمات مراعاة حق الله وحق الخلق ، فإنهم إما يسيئوا فى حق الله وفى حق رسوله فإن أساءوا فىّ حقك ، فقابل ذلك بعفوك عنهم ، وإن أساءوا فى حقى فاسألنى أغفر لهم وأستجلب قلوبهم ، وأستخرج ما عندهم من الرأى بمشاورتهم ، فإن ذلك أحرى فى استجلال طاعتهم وبذل النصيحة ، فإذا عزمت فلا استشارة بعد ذلك ، بل توكل وامضِ لما عزمت عليه من أمرك فإن الله يحب المتوكلين .

### *وكان خلقه القرآن :*

● فهذا وأمثاله من الأخلاق التى أدب الله بها رسوله ، وقال تعالى فيه : ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [ القلم : آية ٤ ] ، قالت عائشة رضى الله عنها : « **كان خُلقه القرآن** » (١) وهذا لا يتم إلا بثلاثة أشياء .

أحدها : أن يكون العود طيباً ، فأما إن كانت الطبيعة جافية غليظة يابسة عسر عليها مزوالة ذلك علماً وإرادة وعملا ، بخلاف الطبيعة المنقادة اللينة السلسة القياد ، فإنها مستعدة إنما تريد الحرث والبذر .

---

(١) جزء من حديث عائشة الطويل . الذي أخرجه مسلم : كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٧٤٦) (١٣٩) : باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض .

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب اليك

أشرف بن عبد المقصود

الثانى : أن تكون النفس قوية غالبة قاهرة لدواعى البطالة والغى والهوى ، فإن هذه الأمور تنافى الكمال ، فإن لم تقو النفس على قهرها وإلا لم تزل مغلوبة مقهورة .

الثالث : علم شاف بحقائق الأشياء وتنزيلها منازلها يميز بين الشحم والورم ، والزجاجة والجوهرة .

فإذا اجتمعت فيه هذه الخصال الثلاث ، وساعد التوفيق فهو القسم الذى سبقت لهم من ربهم الحسنى ، وتمت لهم العناية .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً أبداً إلى يوم الدين . والحمد لله رب العالمين .

* * *

# فهرس الموضوعات

# مطبوعات مكتبة التوعية الإسلامية

***ناصية شارع محمد عبد الهادى ـ الجوهرة ـ الطالبية ـ الهرم***

١ ـ الرصف لماروى عن النبى ﷺ من الفعيل والوصف . تأليف : الإمام محمد بن محمد بن عبد الله العاقولى [ مجلدين ] ..........................

٢ ـ العُجالة السنية شرح ألفية السيرة النبوية . تأليف : الحافظ العراقى . شرح : الحافظ المناوى . تحقيق الشيخ : إسماعيل الأنصارى .

٣ ـ الصَارِم المُنكى فى الردعلى السُبكى . تأليف : العلامة : ابن عبد الهادى . تحقيق : الشيخ إسماعيل الأنصارى ..........................

٤ ـ الكبائر . تأليف : الشيخ محمد بن عبد الوهاب . تحقيق : الشيخ إسماعيل الأنصارى ..........................

٥ ـ الصلاة [ ومعها تحذير الأمة عن التهاون بصلاة الجماعة والجمعة ] . تأليف : الأستاذ عبد الملك الكليب والأستاذ عبد العزيز عبد الرحمن الشثرى ..............

٦ ـ رسالة إلى كل مدخن . تأليف : الشيخ سليمان بن محمد الحميضى ..............

٧ ـ تقاليد يجب أن تزول : [ منكرات المآتم والموالد ] . تأليف الأستاذ : محمود مهدى إستانبولى

٨ ـ تقاليد يجب أن تزول : منكرات الأفراح وآثارها السيئة على الفرد والأمة . تأليف الأستاذ : محمود مهدى إستانبولى

٩ ـ جهالات خطيرة فى قضايا اعتقادية كثيرة . تأليف الدكتور : عاصم بن عبد الله القريوتى

١٠ ـ أركان الإسلام والإيمان . تأليف الشيخ : محمد بن جميل زينو .

١١ ـ فصل الخطاب ـ وجوب الجماعة والقوامة والحجاب . تأليف الشيخ : رجائى بن محمد المصرى المكى

١٢ ـ الخلافة والملك ومنهاج السنة النبوية . تأليف الشيخ : رجائى بن محمد المصرى المكى

١٣ ـ إيضاح الدلالة فى عموم الرسالة والتعريف بأحوال الجن ويليه شرح حديث بدأ الإسلام غريبا تأليف : شيخ الإسلام ابن تيمية ـ تحقيق : محمد شاكر الشريف .

١٤ ــ شروط الصلاة وأركانها وواجباتها وآداب المشى إلى الصلاة . تأليف الشيخ : محمد بن عبد الوهاب

١٥ ــ أخلاق العلماء . تأليف : الحافظ أبى بكر الآجرى ــ تحقيق إسماعيل الأنصارى .

١٦ ــ أفلام الخلاعة والمسكرات والخمور .تأليف الشيخ : عبد الله بن زيد آل محمود .

١٧ ــ أسماء الله الحسنى ورسالة الترشيد فى اعتبار حديث الأسماء برواية الوليد . تأليف الشيخ : رجائى بن محمد المصرى المكى

١٨ ــ من أحكام المريض آدابه . تأليف الشيخ : عبد الله بن الجار الله

١٩ ــ سنن العيدين . تأليف الشيخ : محمد أحمد عبد السلام الشقيرى ــ تحقيق الصابر بالله بن صابر البناوى الأثرى ........................................

٢٠ ــ حكم القراءة للأموات . تأليف الشيخ : محمد أحمد عبد السلام الشقيرى .

٢١ ــ كشف الخفاء عن أحكام سفر النساء . تأليف الشيخ : محمد موسى نصر .

٢٢ ــ الشهاب الثاقب فى الذب عن الصحابى الجليل ثعلبة بن حاطب . تأليف : سليم الهلالى

٢٣ ــ ثلاث رسائل فى الحجاب . تأليف العلامة الشيخ : عبد العزيز بن باز ــ الشيخ بن عثيمين ــ الشيخ السندى

٢٤ ــ تحذير ولاة الأمور من المغالاة فى المهور . تأليف : محمد موسى البيضانى ــ تقديم ومراجعة الشيخ مقبل بن هادى الوادعى ........................................

٢٥ ــ تنبيه أهل العصر بما جاء فى الاضطجاع بعد ركعتى الفجر وتبصير الورى بما جاء فى صلاة الضحى . تأليف : أبو عبد الرحمن عقيل بن محمد المقطرى ــ تقديم ومراجعة الشيخ مقبل بن هادى الوادعى ........................................

٢٦ ــ الحجاب [ نعمة وأمل لا نقمة وألم ] . للأديب : مصطفى لطفى المنفلوطى ــ تقديم وضبط على حسن على عبد الحميد الحلبى .

٢٧ ــ بداية الشر والدعوة إلى وثن البربر . تأليف : رجائى بن محمد المصرى المكى .

٢٨ ــ حقوق على العباد دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة . تأليف الشيخ : محمد بن صالح بن عثيمين ــ قدم لها وخرج أحاديثها عبد الله بن جار الله بن إبراهيم الجار الله .

٢٩ ــ التبيان فى آداب حملة القرآن . تأليف : الإمام أبى زكريا يحيى بن شرف الدين النووى ــ تحقيق وتعليق على حسن على عبد الحميد الحلبى

٣٠ ــ غاية النفع فى شرح حديث تمثل المؤمن بخامة الزرع . تأليف الإمام : ابن رجب الحنبلى ــ تحقيق أشرف عبد المقصود

٣١ ــ الرسالة التبوكية [ زاد المهاجر إلى ربه ] . تأليف الإمام : ابن قيم الجوزية ــ تحقيق أشرف عبد المقصود

٣٢ ــ تنبيهات هامة على ملابس المسلمين اليوم . تأليف : أبى المنذر عبد الحق عبد اللطيف

٣٣ ــ إرشاد السارى إلى عبادة البارى . تأليف الشيخ : محمد إبراهيم شقرة .

٣٤ ــ الذل والانكسار للعزيز الجبار [ الخشوع فى الصلاة ] . تأليف : الإمام ابن رجب الحنبلى ــ تحقيق حسين الجمل

٣٥ ــ الأسماء والصفات عقلا ونقلا . تأليف العلامة : محمد الأمين الشنقيطى ــ تحقيق شريف هزاع

٣٦ ــ الإلمام بحكم القراءة خلف الإمام والجواب عما احتج به البخارى . تأليف : شيخ الإسلام ابن تيمية ــ تحقيق شريف هزاع

٣٧ ــ التنبيه والتوبيخ . تأليف ، أبى الشيخ الأصبهاني . تحقيق : أبو الأشبال حسن المندوه .

٣٨ ــ فتاوى النساء وأجوبة لجنة الإفتاء برئاسة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز .....

٣٩ ــ تعليق على العقيدة الطحاوية للشيخ عبد العزيز بن باز ..............................

٤٠ ــ عقيدة أهل السنه والجماعة للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ......................

٤١ ــ تحكيم الناظر فيما جرى من الاختلاف بين أمة أبى القاسم ﷺ تأليف : الشيخ صالح بن أحمد ..................................................

٤٢ ــ تحذير أهل الإيمان عن الحكم بغير ما أنزل الرحمن تأليف الشيخ أبى هبه الله إسماعيل بن إبراهيم الخطيب الحسنى الأزهرى السلفى

٤٣ ــ تذكرة الآباء وتسلية الأبناء تأليف ابن العديم الحلبى . تحقيق علاء عبد الوهاب

٤٤ ــ ذم الموسوسين للشيخ موفق الدين ابن قدامة المقدسي تحقيق أبو الأشبال حسن المندوه

٤٥ ــ الحيدة ( وانتصار المنهج السلفى ) للإمام عبد العزيز الكنانى المكى

٤٦ ــ الضياء اللامع فى الخطب الجوامع للشيخ محمد بن صالح بن عثيمن ..........

٤٧ ــ فتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز جمع تحقيق الشيخ عبد الرحمن عبد السلام يعقوب

# كتب توزعها المكتبة

١ ــ بدعة التعصب المذهبي . تاليف الأستاذ محمد عيد عباسي ..........

٢ ــ سلسلة الأحاديث الصحيحة [ المجلد الرابع ] . تأليف : الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى . ..........

٣ ــ تلخيص أحكام الجنائز . تأليف الشيخ : محمد ناصر الدين الألبانى . ..........

٤ ــ مناسك الحج والعمرة . تأليف الشيخ : محمد ناصر الدين الألبانى . ..........

٥ ــ القبر عذابه ونعيمه . تأليف الشيخ : حسين العوايشة .

٦ ــ كتاب الدعاء . تأليف الشيخ : حسين العوايشة .

٧ ــ إتمام ذكر اليوم والليلة . تصنيف وتخريج الشيخ : رجائى بن محمد المصرى المكي .

٨ ــ المرأة المسلمة ــ أحكام فقهية حول الحجاب والدماء الطبيعية وزكاة الحلى . تأليف : الشيخ : محمد بن صالح بن عثيمين .

٩ ــ هجمات مضادة فى التاريخ الإسلامى . تأليف الدكتور : عماد الدين خليل .

١٠ ــ كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد . تأليف الإمام : محمد بن عبد الوهاب . ..........

١١ ــ تطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران . تأليف الشيخ : أحمد بن حجرآل بوطامى آل بن على . ..........

١٢ ــ صفة العمرة فى الكتاب والسنة ودليل زائر مدينة رسول الله ﷺ تأليف أشرف ابن عبد المقصود . ..........

١٣ ــ شرح الأربعين النووية . تأليف : محيى الدين بن شرف النووى تحقيق وتعليق الشيخ محمد رشيد رضا . ..........

١٤ ــ كتاب فضل الإسلام وكتاب أصول الإيمان . تأليف الإمام : محمد بن عبد الوهاب تحقيق الشيخ إسماعيل الأنصارى . ..........

١٥ ــ السيرة النبوية فى القرآن الكريم ــ دراسة وتحليل . تأليف : فضيلة الشيخ محمد على الحركان . ..........

١٦ ــ موقف النبى ﷺ من الديانات الثلاثة . فضيلة الشيخ حسن خالد مفتى لبنان .

١٧ ــ أخلاق المرأة المسلمة ــ مجموعة رسائل تهم المرأة المسلمةفى حياتها اليومية

والاجتماعية . تأليف الشيخ : عبد الله بن زيد آل محمود ........................

١٨ ــ فى مقارنة الأديان ــ النصرانية والإسلام . تأليف : المستشار محمد عزت الطهطاوى ....................................................................................

١٩ ــ رسالة سيرة النبى الأمين إلى إنسان القرن العشرين . تأليف الشيخ : أبى الحسن على الحسنى الندوى ..............................................................................

٢٠ ــ رسائل فى العقيدة . تأليف الشيخ : محمد بن صالح بن عثيمين ....................

٢١ ــ رسائل فقهية . تأليف الشيخ : محمد بن صالح بن عثيمين ..........................

٢٢ ــ الكلمات النافعات للأخوات المسلمات . تأليف : عصام بن محمد الشريف .

٢٣ ــ القبر . أشرف عبد المقصود ــ تقديم ومراجعة الدكتور : ربيع بن هادى عمير المدخلى ...........................................................................................

٢٤ ــ أهمية الجهاد فى نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة . دكتور : على بن نفيع الغليانى .....................................................................................

٢٥ ــ الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة . تأليف : عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي ..................................................................................................

٢٦ ــ دلائل النبوة . تأليف : أبى نعيم الأصبهاني...........................................

٢٧ ــ المجروحين . تأليف : محمد بن حبان البستى ...........................................

٢٨ ــ أحاديث الموطأ . تأليف : الحافظ أبى الحسن على بن عمر الدارقطنى ..........

٢٩ ــ بين الشيعة وأهل السنة . تأليف : إحسان إلهى ظهير......................................

٣٠ ــ الشيعة والسنة . تأليف :إحسان إلهى ظهير ...........................................

٣١ ــ كتاب الإخلاص . تأليف : الشيخ حسين العوايشة...................................

٣٢ ــ الرسالة الإسلامية فى مواجهة الفساد للشيخ محمد المجذوب ........................

٣٣ ــ مهذب عمل اليوم والليلة . تهذيب على حسن على عبد الحميد الحلبى .........

٣٤ ــ كلمات إلى الأخت المسلمة . تأليف : على حسن على عبد الحميد الحلبى .

٣٥ ــ التذكرة فى صفة وضوء وصلاة النبى . تأليف : على حسن على عبد الحميد الحلبى

٣٦ ــ الموت . عظاته وأحكامه . تأليف : على حسن على عبد الحميد الحلبى ......

٣٧ ــ الجنة نعيمها والطريق إليها . تأليف : على حسن على عبد الحميد الحلبى .....

* * * لدينا كافة الاستعدادات لتوفير ما يطلب من كتب المكتبات الأخرى وبأفضل الأسعار وأيسر التعاملات ...............................................................

## تابع كتب توزعها المكتبة

٣٨ ـ تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذى للمباركفورى
٣٩ ـ عون المعبود شرح سنن أبى داود لمحمد شمس الحق العظيم آبادى
٤٠ ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية سبع وثلاثين مجلدا
٤١ ـ الاستقامة لشيخ الإسلام ابن تيمية مجلدين
٤٢ ـ الرحيق المختوم ( بحث فى السيرة النبوية ) لصفى الرحمن المباركفورى
٤٣ ـ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ ابن عبد الوهاب
٤٤ ـ علل الحديث لابن المدينى تحقيق قلعجى
٤٥ ـ فتاوى ابن الصلاح
٤٦ ـ نزهة النظر شرح نخبة الفكر لابن حجر العسقلانى
٤٧ ـ التمهيد لابن عبد البر
٤٨ ـ معجم الطبرانى الكبير عشرون مجلدا ..............................................................
٤٩ ـ خصائص أهل السنة للشيخ أحمد فريد
٥٠ ـ مصنف ابن أبى شيبة
٥١ ـ المعين فى طبقات المحدثين للحافظ الذهبى ..............................................................
٥٢ ـ طبقات المدلسين ورسالة فى أسماء المدلسين لابن حجر والسيوطى .....................